جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية – الدراسات العليا

أثر الأصمعيّ (ت٢١٦هـ) في كتب خلق الإنسان

دراسة لغوية تحليلية

رسالة مقدّمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات

نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص/ اللغة

من الطالبة

أزهار رزاق رسول

بإشراف

أ.د. مَكّيّ نَومان مظلوم

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

الفصل الأول

أثر الأصمعيّ في مناهج تأليف كتب خلقِ الإنسانِ

المبحث الأول: منهجُ الأصمعيّ في كتابِهِ خلقِ الإنسانِ

المبحث الثاني: أثَرُ الأصمعيّ في كُتُبِ خَلقِ الإنسانِ اللاّحِقَةِ

المبحث الثالث: أثَرُ الأصمعيّ في شواهِدِ الكُتُبِ ومَصادِرِها

المبحث الأول

منهجُ الأصمعيّ في كتابهِ خلقِ الإنسانِ

مدخل:

أغنت كتب خلق الإنسان المعجم العربي بكمٍّ وافر من الألفاظ والمفردات والشواهد المتعلقة بأسماء أعضاء الإنسان، وما يتصف بها من صفات وأحوال(١). فاختص عدد من اللغويين بتأليفِ رسائلَ صغيرةٍ ومختصرةٍ في موضوع خلق الإنسان، فعرضوا بنيةَ الجسد الإنساني بوصفِ كلّ عضو من أعضائه، مع بيان سائر الأسماء التي أُطلقت عليه، وذكر الأوصاف والأحوال الخاصة بكلّ عضو، ومن أقدم ما وصل إلينا في هذا الموضوع كتابُ خلق الإنسان للأصمعيّ(٢)، الذي يُعدّ مرجعًا أساسيًّا لما أُلِّف بعده، إذ ضمّ موضوعاتٍ متنوّعة تتعلّق بخَلق الإنسان، كالحملِ والولادةِ والمولود.(٣). كما ذكر مجموعةً من الصفات الخَلقية والخُلقية، وتعرضَ إلى أعضاء جسم الإنسان مرتّبةً اعتمادًا على أول الأعضاء شاناً، مبتدئًا بالرأس، مارًّا بكل الأعضاء، ومنتهيًا بالقدم. وفي آخر الكتاب، ذكر أوصافًا عامّة تُقال في الرجلِ والمرأة، ومنها: ((الضرب مِنَ الرِّجَالِ الْخَفِيفُ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ بِالْغَلِيظِ وَلَا بِالْقَضِيفِ قِيلَ لَهُ: صَدَعُ، وكلّ وسط من الرجال صدع))(٤) ومنها أيضًا: ((والأَرْوَعُ الجَمِيلُ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَرْوَعُ، وَامْرَأَةٌ رَوْعَاء))(٥).

---

(١) يُنظر: خلق الإنسان في اللغة (ابن حبيب) قسم الدراسة: ٢٩.

(٢) يُنظر: المدخل إلى مصادر العربية: ١٨.

(٣) يُنظر: معجم المعاجم العربية: ٦٢.

(٤) خلق الإنسان(الأصمعيّ): ٢٢٩.

(٥) المصدر نفسه: ٢٣١.

يمكننا القول: إنّ الأصمعيّ هو الرائدُ الأولُ في هذا النوعِ من التأليفِ فقد وضع الأساس الذي اعتمدت عليه مؤلفات خلق الإنسان اللاحقة، ولم يستطع من ألف بعده التحرُّرَ الكامل من تأثيرِهِ ، بل اجتهدوا في تطوير منهاجهِ ، وتكملةِ ما بدأ به(١).

أولاً: مُقَدّمةُ كِتابِ خلقِ الإنسانِ للأصمعيّ:

مدخل:

تعدُّ المُقّدمة أحد أهم العناصر التي عُنيت بها المؤلفات القديمة ، فقد شكلت مدخلًا أساسيًا لفهم النصوص واستيعاب محتواها، وتُبرز المقدمةُ مختلف العناصر المقابلة للنص، منها اسم المؤلف، العنوان، المنهج الذي سار عليه المؤلف، والغاية من تأليفه، كما أنها تؤدي وظيفة دلالية ومعرفية بارزة في توجيه القارئ وإعداده نفسيًا وذهنيًا لاستقبال النص(٢).

لم يضع الأصمعيّ مقدمة لكتابه(خلق الإنسان)، توضح منهجه أو الغاية من تأليفه ، لينتقل بعدها إلى عرض منظم للموضوعات، مع تقسيمها على عنوانات واضحة ، ومن ذلك ما ذكره: من الحمل والولادة، وما يذكر من تقلب أحوال الإنسان ، وهذا ما تُسمي العربُ من جماعةِ خلقِ الإنسان(٣).

إنَّ إغفال الأصمعيّ في وضع مقدمة لكتابه يعكس منهجًا علميًا يعبرّ عن المحتوى وإيصال المعلومة بدقةً وتنظيم ، دون مقدمات تطول، ويُلاحظ ذلك بشكل خاص في مؤلفاّته التي تتضمن موضوعات لغوية بحتة إذ عرض تقسيم الموضوعات دون سبقها

(١) يُنظر: المعجم العربي: نشأته وتطوره: ١/١٣٤.

(٢) يُنظر: الخطاب المقدماتي في الراوية العربية المعاصرة بين الوعي والتنظير والمقاربة الاجرائية:٢.(بحث) .

(٣) يُنظر: خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٥٧-١٦٠-١٦٣.

بمقدمة ،وهذا الأسلوب اتبعه الأصمعيّ في مؤلفاته الأخرى، على نحوٍ في كتاب الأضداد دخل إلى صلب الموضوعات من دون تقدمه. فجاءَ الكتابُ بقوله: ((قَالَ الْأَصْمَعيُّ الْقُرْء عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ الطُّهر، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْحَيْضِ))(١)، وبدأ كتاب السلاح بقوله: ((قائم السَّيْفِ مقبضه))(٢).

وابتدأ كتاب الخيل بالبسملة ، ثم ذكر: ((قال أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبِ الأصمعي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): كلُّ ذاتِ حافرٍ: أَجودُ وقتِ الحَمْل عليها ،بعد نتاجها بسبعة أيام، وحينئذ تكون فريشًا ، والجماع: الفَرائسُ))(٣).

يبدو أن هذا الأسلوب كان سمة أساسية في مؤلفات الأصمعيّ ، فقد اعتمد على عرض الموضوعات ، دون الحاجة إلى مقدمات تطول ، وهو مايتفق مع مؤلفاته الأخرى ،التي غلب عليها الاقتصار على المادة العلمية بدلًا من الشرح المبدئي لمنهجه.

١- تقسيمات كتاب خلق الإنسان:

قسم الأصمعيّ كتابه على أقسام عدّة:

القسم الأول: مايذكر من حمل المرأة وولادتها والمولود

تحدث فيه عن الحمل والولادة والمولود، واصفًا وحام المرأة في أول الحمل: ((يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ فِي أَوَّلِ مَا تَحْمِلُ قَدْ نَسَئت وَهِيَ نَسْ كَمَا تَرَى ، فَإِنِ اشتَهتْ عَلَى حَمَلِهَا شَيْئًا فَهِيَ وَحُمَى وَالْمَصْدَرُ الْوَحَمُ))(٤).

---

(١) الأضداد: ٥(قسم التحقيق).

(٢) السلاح: ٧٢(قسم التحقيق).

(٣) الخيل: ٤٨(قسم التحقيق).

(٤) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٥٨.

وبدأ الحديث عن مراحل تكوين الجنين، منذ أن كان نطفة في رحم الأم، ويُذكر أن النطفة تبقى أربعين يومًا، تليها مرحلة العلقة، ثم تأتي مرحلة المضغة ، يقول: ((وَيَكُونُ نُطْفَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَعَلَقَةً مِثْلُهَا ، وَمُضْغَةً مِثْلُهَا))[١]بعد ذلك، يذكر:((ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ))[٢].

ثم يذكر المراحل التي تمرّ بها المرأة في مدة الحمل: ((وَيُقَالُ إِنَّ وَلَدَ كلّ حامِل يَرْتَكِضُ فِي نِصْفِ حملها، فَإِذَا أَثْقَلَتْ قِيلَ امْرَأَةٌ مُثْقِلُ، فَإِذَا ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ قِيلَ مَخِضَتْ وَمُخِضَتْ))[٣].

ثم ينتقل إلى الولادة: ((وَوَجَعُ الْوِلَادِ الطَّلْقُ خَفِيفٌ ، فَإِذَا وَجَدَتِ الْأَلَمَ بَعْدَ الْوِلَادِ فَهُوَ الْحِسُ ،فَإِذَا اشْتَكَتْ عَلَى الْوِلَادِ بَعْدُ فَهِيَ رَحُومُ))[٤].

القسم الثاني: تقلب أحوال الإنسان:

وينتقل إلى تقلّب أحوال الإنسان ، من خلال عرض مراحل حياته المختلفة ، منذ أن كان طفلًا، ثم أصبح شَدَخًا، ثم فُطِم فأُطلق عليه فطيم، وبعد أن بدأ بالنمو والارتفاع سُمّي جفرًا، فإذا تجاوز هذه المرحلة، أصبح يُعرف بالجَحْوس، فيقول الأصمعيّ: ((يُقَالُ لِلْمَوْلُودِ حِينَئِذٍ وَلِيدٌ ، ثُمَّ طِفْلٌ ، ثُمَّ شَدَحْ إِذَا كَانَ صَغِيرًا رَطْبًا، فَإِذَا فُطِمَ فَهُوَ فَطِيمٌ ، فَإِذَا انتَفَج وَارْتَفَع فَهُوَ جَفْرُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ جَحْوَسُ...))[٥]، أي يتقلّب حالُ الإنسان من صِغَرٍ إلى شَباب، ثم إلى كُهولةٍ فمَشيب، ليتّعظ بتغيير أطواره، ويخشى عاقبة

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٥٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٨.
(٣) المصدر نفسه: ١٥٨.
(٤) المصدر نفسه: ١٥٨.
(٥) المصدر نفسه: ١٦٠.

أمره(١).

كما تعرضَ إلى الحديث عن تأخّر الزواج ، فيقالُ عن الرجل والمرأة إنهما عانس في حال تأخّر زواجهما، ومن ذلك قوله: ((فَإِذَا قَعَدَ بَعْدَ بُلُوغِ وَقْتِ النِّكَاحِ أَعْوَامًا لَا يَنْكِحُ فَهُوَ عَانِسُ يُقَالُ: رَجُلٌ عَانِسٌ وَامْرَأَةٌ عَانِسٌ)) (٢).

وتحدث عن تقدّم الإنسان في العمر، حينما يبدأ الشيب يظهر في رأسه، تبدأ عليه علامات الكِبر،فيُقال له شيخ عندما يكبر سنّه، ثم إذا ازداد ضعفًا وتقدّم به العمر أكثر، يُقال له هَرِمٌ، وإذا طال به العمر يُسمّى مُسِنٌّ.ومن ذلك قول الأصمعيّ: ((فَإِذَا ظَهَرَ بِهِ الشَّيْبُ وَاسْتَبَانَتْ فِيهِ السِّنْ فَهُوَ شيخ ، فَإِذَا جَاوَزَ ذَلِكَ فَهُوَ مُسِنٌ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ قحم وَقَحْرُ))(٣)، ويقال ذلك في منَ ظهر فيه الشَّيبُ واستبانت سِنُّه إلى آخر عمره؛ فالمعنى: مَن بدا أثرُ كِبَرِه (٤).

القسم الثالث: (ما تسمى العرب من جماعةِ خلقِ الإنسانِ جَمَاعَةِ خَلقِ الإنسَانِ):

وهي ألفاظ وصفات تُطلق على هيئة الإنسان وما يُرى منه ، منها: الشخص، والطلل، والآل، والسمامة. ومن ذلك قوله: ((فَاسْمُ جَمَاعَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ الشَّخْصُ وَالطَّلَلُ وَالْآلُ وَالسَّمَامَةُ. يُقَالُ لشخص الْإِنْسَانِ طَلَلُهُ، وَشَخْصُ كُلِّ شَيْءٍ طَلَلَهُ))(٥). وأصلُ الطَّلَل ما ارتفع من آثار الدِّيار وبقي شاخصًا منها، ثم أُطلِق على شَخص الإنسان تشبيهًا بذلك. وأكثر ما يُستعمل لفظ الطَّلَل في وصف الإنسان إذا كان طويلًا جَسيمًا؛ فيُقال: لفلانٍ طَلٌّ

(١) يُنظر: زاد المسير في علم التفسير: ٣٤/٣.
(٢) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦١.
(٣) المصدر نفسه: ١٦١.
(٤) يُنظر: إسفار الفصيح: ٥١٧/١.
(٥) خلق الإنسان(الأصمعيّ): ١٦٣.

ورَوَاءٌ إذا كان عظيم المنظر وفخيمه(١).

وفي هذا القسم أيضًا ذكر مجموعة من الصفات التي تُطلق على الإنسان، وتشمل صفات معنوية وحسية، منها: ((وَيُقَالُ إِنَّهُ لَحَسَنُ الْقَامَةِ وَالْقَوْمَةِ وَالْقُومِيَّةِ ،إِنَّ فُلَانًا لَحَسَنُ الْوَجْهِ حَلِيفُ اللسَانِ، وَيُقَالُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ رَاكِبًا إِنَّهُ لَحَسَنُ الْقِمةِ عَلَى الرَّحْلِ))(٢). ومنها أيضًا ((وَالنَّاوِي الْكَثِيرُ الشَّحْمِ، وَالْفَدَنُ الْقَصْرُ. وَالْمُؤَيدُ الْمَشَدَّدُ مِنْ كُلِّ شَيْء))(٣).

القسم الرابع: أعضاء جسم الإنسان:

ويُعدّ أكبر أقسام الكتاب، بل هو المتن الرئيس فيه، إذ ذكر فيه المؤلِّف حديثًا مفصلًا ومطّولاً عن جسمِ الإنسانِ، مرتّبًا الأعضاء من الأعلى إلى الأسفل، فبدأ بالرأس ومافيه إذ يقول: ((ثُمَّ الرَّأْسُ، فَظَاهِرُ جِلْدِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَأْسِهِ وَسَائِرِ جَسَدِهِ الْبَشَرَةُ وَبَاطِنُهُ الْأَدَمَةُ))(٤).

ثم تحدث عمّا في الرأس داخلًا: ((وَفِي الرَّأْسِ الْهَامَةُ وَهُوَ وَسَطُ الرَّأْسِ وَمُعْظَمُه.، وَفِي الرَّأْسِ الْقُلَّةُ وَهِيَ الْعِلَاوَةُ وَذَلِكَ أَعْلَى الرَّأْسِ))(٥).

ثم ذكر اليافوخ فوضع موضعَهُ قائلاً: ((وَفِي الْهامة الْيافوخ وَهُوَ الْموضعَ الَّذِي لَا يَلتمُ مِنَ الصَّبِيّ إِلَّا بَعْدَ سَنَتَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ وَهُوَ حَيْثُ الْتَقَى عَظْمُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ))(٦). يبقى هذا الموضع لينًا وغير ملتئم في رأس الطفل الصغير، ولا يكتمل

(١) يُنظر: الفروق في اللغة : ١٥٩.
(٢) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٦٥.
(٤) المصدر نفسه: ١٦٥.
(٥) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦٦.
(٦) المصدر نفسه: ١٦٦.

التحام العظام فيه إلّا بعد أن يبلغَ الطفل حوالي سنتين. وهو موضعٌ في الجُمجُمة، يكون في قُدّامِها ومؤخَّرِها(١).

ويتابع حديثه عن الرأس ،وما يظهر عليه من صفات، وهذا ما أشارت إليه الدكتورة وجيهة السطل: إنّهُ استكملَ ما في الرأس ظاهرًا مبتدئًا بذكر الشعر وما يتعلّق به من أوصاف وألفاظ الصلع، وصفات الشعر وألوانه (٢). ومن ذلك الأفرع الذي قيل فيه الممتلئ الشعر((رَجُلٌ أَفْرَعُ وَامْرَأَةٌ فَرْعَا وَهُوَ التّامُ الشَّعَرِ الَّذِي لَمْ يَذْهَبْ مِنْهُ شَيْءٌ))(٣).

ويقابله الأصلع: الذي ذهب شعر رأسه أو بقي منه القليل: ((لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْرِهِ إِلَّا حِفَافٌ))(٤) ((وَيُقَالُ لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعَرِهِ إِلَّا عُنْصُوَةٌ خَفِيفَةٌ يَعْنِي شَيْئًا قَلِيلًا)) (٥). أي القليل جدًا من الشعر.

ثم ينتقل إلى صفات الشعر من الطول والقصر: ((وَالْأَثِيثُ مِنَ الشَّعَرِ الطَّوِيلُ الكَثِيرُ، وَالْجثلُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُ))(٦)، ويُقال في ذلك: ((وقعت منه في جثة: أي في بلاء. والجثيث أيضًا ما تساقط في أصول الشجر))(٧).

وانتقل بعده إلى وصف ألوان الشعر: ((الْمُسْتَنْحنك وَهُوَ الْأَسْوَدُ مِنَ الشَّعَرِ))(٨)، مشبها هذا اللون بالليل والنبات وكل شي اشتدّ سواده(٩)، ومنها أيضاً: ((وَالْأَصْبَحُ مِنَ

(١) يُنظر: الإبانة في اللغة العربية: ١٤/١.
(٢) يُنظر جسم الإنسان في معاجم المعاني دراسة تحليلية لغوية: ٢٦.
(٣) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧١.
(٤) المصدر نفسه: ١٧١.
(٥) المصدر نفسه: ١٧١.
(٦) المصدر نفسه: ١٧١.
(٧) المحيط في اللغة: ٣٩٩/٦.
(٨) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٥.
(٩) يُنظر المصدر نفسه: ١٧٥.

الشَّعَرِ الَّذِي يَخْلِطُ بَيَاضًا بِغُبْرَةٍ أي ميلانه إلى اللون الرمادي او الأبيض))[١].وقيل: الأَمغرُ: ((الَّذِي هُوَ فِي لَوْنِ الْمَغْرَةِ))[٢]، وهو لون يميل إلى الاصفرار. وقيل: ((وَالْأَصْهَبُ الَّذِي يخلط بياضا بحمرة))[٣].

ثم يعود إلى ما في الوجه، فيبدأ بذكر أعلى الوجه، فيُشير إلى قُصاص الشعر: ((فَأَعْلَاهُ قُصَاصُ الشَّعَرِ، وَهُوَ مُنْتَهَى مَنْبِتِ الشعَرِ))[٤]، ويراد به: الحدّ الذي ينبت عنده الشعر في مقدمة الرأس ومؤخرته، أي منتهى منابت الشعر[٥].

ثم الجبهه: ((وَهُوَ مَوْضِعُ السُّجُودِ))[٦]، أي الموضع الذي يسجد عليه وأبرز مايمكن ملاحظته في الوجه، وقد يستعمل في الإنسان وغيره[٧]، بعدها يصل إلى الحجاجين: ((وَالْحِجَاجَانِ الْعَظْمَانِ الْمُشْرِفَانِ عَلَى غَارَيِ الْعَيْنَيْنِ)) [٨]، ويراد بهما العظمان اللذان يحيطان بالعين من الأعلى[٩].

ويذكر بعد ذلك الحاجبين فيعرّفهما بقوله: و((وَالْحَاجِبَانِ الشَّعَرُ النَّابِتُ عَلَى حُرُوفِ الْحِجَاجَيْنِ))[١٠]. وقيل في ذلك: ((الحاجب: الشعر النابت على العظم، سمي بذلك لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس))[١١].

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٥-١٧٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٨.
(٥) يُنظر: المخصص: ٧٥/١.
(٦) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٨.
(٧) ينظر: تاج العروس: ٣٦٢/٣٦.
(٨) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٨.
(٩) يُنظر: المخصص: ٩٥/١.
(١٠) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٩.
(١١) لسان العرب: ٢٩٩/١.

ثم ينتقل الى العين وهي أبلغ مافي الوجه، فيذكر أجزاءها: ((الْمُقْلَةُ وَهِيَ شَحْمَةُ الْعَيْنِ تَجْمَعُ الْبَيَاضَ وَالسَّوَادَ))(١).

ثم يذكر الْأَجْفَانُ: ((وَهِيَ غِطَاء الْمُقْلَةِ مِنْ أَعْلَى وَأَسْفَلِ))(٢)، ثم يذكر صفات ومزايا العين: ((وَفِيهَا الْخَوَصُ وَهُوَ صِغَرُهَا وَغُورُهَا ،وَفِيهَا النَّجَلُ وَهُوَ سَعَةُ الْعيْنِ وَعِظَمُ الْمُقْلَةِ وَكَثْرَةُ الْبَيَاضِ))(٣).

ثم يذكر أمراض وعيوب التي قد تصيب العين: ((الدَّوَشُ وَهُوَ ضَعْفُ الْبَصَرِ))(٤)،وفِيهَا الْعُوَّارُ وَهُوَ: ((كَالْقَذَى يَجِدُهَا الرَّجُلُ مِنْ شِدَّةِ الرَّمَدِ))(٥).

وينتقل إلى الأنف ويذكر صفاته وعيوبه. وأشارت الدكتورة وجيهة السطل: إلى أنَّ الأصمعيّ ذكر جزءًا من الأنف كما لو كان قد تعرض له بالوصف من قبل، فأثبته ثانية(٦).

وبعدها يصل إلى الفم فيوضح كلّ ما فيه، من: ((الثَّنَايَا وَالرَّبَاعِيَاتُ وَالْأَنْيَابُ وَالضَّوَاحِكُ وَالنَّوَاجِذُ))(٧). واللثة وما فيها واللسان وما فيه(٨).

ثم الْغَلْصَمَةُ لحمٌ ملصوق بالحنك تحت اللهاة ملتصق برأس القصبة(٩).يقول

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٩.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٠.
(٣) المصدر نفسه: ١٨١.
(٤) المصدر نفسه: ١٨٢.
(٥) المصدر نفسه: ١٨٣.
(٦) ينظرا جسم الإنسان في معاجم المعاني دراسة تحليلية لغوية: ٢٨.
(٧) خلق الإنسان (الأصمعيّ):١٩١.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٩١.
(٩) ينظر: القانون في الطب: ٢/٢٨٥.

الأصمعيّ: ((الغَلصَمَةُ: عَلَى مُلْتَقَى اللَّهَاةِ وَالْمَرِي))[١].

ثمَّ الْحُلْقُومُ المراد به القصبة الهوائية وهو مجرى الطعام والشراب[٢] قال الأصمعيّ: ((وَهُوَ مَوْضِعُ النَّفْسِ))[٣]

وهكذا وصولًا إلى العنق ذاكرًا مايحتوي عليه ، فقال: ((النَّخَاعُ وَهُوَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَجْرِي فِي الْفَقَارِ حَتَّى يَسْقِيَ الدِّمَاعَ))[٤]. وَفِي العنقِ الْوَدَجَانِ: ((وَهُمَا الْعِرْقَانِ اللَّذَانِ يَقْطَعُهُمَا الذَّابِحُ))[٥].

وبعد ذلك يصلُ إلى الطرف الذي يربط رأسَ العَضُد بالكَتِفِ، وهو المنكب[٦]. ثم الذراع ((فالذراع والساعد شيء واحد))[٧]. ثم الكف وفي الكف الراحة وفيها الأسرار وفيه البراجم[٨]. ثم الظهر والذي يصل الظهر بالعنق يُسمى الكاهل[٩] ثم الصدر: ((وَفِي الصَّدْرِ النَّحْرُ وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ))[١٠].

ثم ينتقل إلى الْجوْفُ، ثمَّ الْخِلْبُ، وهو الحاجز: ((الَّذِي بَيْنَ الْفُؤَادِ وَسَوَادِ الْبَطْنِ))[١١].

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٩٧.

(٢) يُنظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ١/٥٩٠.

(٣) خلق الانسان (الاصمعي) : ١٩٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٩٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٩٩.

(٦)المصدر نفسه: ٢٠٣-٢٠٤.

(٧) المصدر نفسه: ٢٠٥.

(٨) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٠٨.

(٩) يُنظر: المصدر نفسه: ٢١٠.

(١٠) المصدر نفسه: ٢١٤.

(١١) المصدر نفسه: ٢١٨.

ثم ينتقل إلى الأعضاء التناسلية، والتي خصها بالرجل فقط ، منها الذَّكَر: ((وَفِيهِ الْإِحْلِيلُ وَهُوَ مَخْرَجُ بَوْلِهِ))(١)، ويطلق على جلد الخصية الصفن: ((وَيُقَالُ الجِلْدِ الْخُصْيَةِ الصَّفَنُ ، وَفِيهِ الْبَيْضَتَانِ))(٢).

وَفِي الْخُصْيَةِ الشَّرَجُ وَالْأَدَرُ: ((فَالْأَدَرُ عظمها، وَالشَّرَجُ أن تَعظُمَ إِحْدَاهُمَا وَتَصْغُرَ الْأُخْرَى))(٣).

ثم ينتقل إلى الوركين وما فيهما، فالمنطقة الواقعة ما بين الوركين إلى أسفل الظهر (الصُّلب) تُسمّى العَجُز(٤).

بعد ذلك يذكر الفخذين، وأصل الفخذين من الداخل يُسمّى الرِّفغان: ((فِيمَا بَيْنَ الْعَانَةِ وَبَيْنَهُمَا))(٥).

ثم الساق، وفيه العَضلةُ، وهي الحُزمة: ((الَّتِي فِيهَا اللَّحْمُ الْغَلِيظُ فِي أَعْلَى السَّاق))(٦).

ويختم أعضاء جسم الإنسان بوصف آخر موضع فيها وهي القدم، وفيها:

العَقِب، وهو الجزء الخلفي من القدم: ((الَّذِي يُمْسِكُ شِرَاكَ النَّعْل)).(٧).

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٢.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢٢٤.

(٦) المصدر نفسه: ٢٢٦.

(٧) المصدر نفسه: ٢٢٧.

وفي القسم الخامس: ذكر مجموعة من الصفات الخَلقية والخُلُقية، وقد خُصّت أغلبها بالرجل، أمّا الحديث عن المرأة فكان قليلًا، منها: ((إِذَا كَانَ الرجل لَيْسَ بِالْغَلِيظِ وَلَا بِالْقَضِيفَ قِيلَ لَهُ صَدَعُ))(١). وهي صفة تطلق على من كان متوسّط البنية(٢).

ومنها: الْقِرْضَابُ وَالْقُرْضُوبُ: وهي صفة تطلق على اللصّ، الذي يأخذ كلّ ما يقع بين يديه ويأكله(٣) قال الأصمعيّ: ((الَّذِي لَا يَدَعُ شَيْئًا إِلَّا قَرْنَبَهُ وَأَكَلَهُ))(٤).

ومنها: البُهْلُول: وهو من كان الجميل الوجه، الكثير الضحك:((الْحَسَنُ الْوَجْهِ الضَّحَاكُ))(٥).

ومنها القُمُد: صفة تطلق على طويل العنق، الضخم البنية(٦)، فيقال:((رَجُلٌ أَقْمَدُ وَامْرَأَةٌ قَمدَا))(٧)

ثالثًا: طريقتهُ في إيراد الألفاظ:

لم يقتصر الأصمعيّ على ذكر الألفاظ فقط، بل تعدَّى ذلك إلى شرحها وتفسيرها وتفصيل معانيها وحرص على تعزيز كلامِهِ بالأمثلة والشواهد لتوضيح المفاهيم(٨).

فعند حديثه عن الأنف إذ يبدأ بذكر اللفظ بشكل عام، ثم يُفصِّل في أجزائه الخارجية والداخلية، موضحًا ما يتعلق بكل جزء على حدة. ومنها أن البشرة تكون في

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ٢٢٩.
(٢) يُنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٢٤٢/٣.
(٣) يُنظر: الجراثيم: ٢٢٦/١.
(٤) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ٢٣٠.
(٥) المصدر نفسه: ٢٣٠.
(٦) يُنظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ٥٦٣.
(٧) خلق الانسان (الاصمعي): ٢٣١ .
(٨) يُنظر: معاجم خلق الإنسان في التراث: ٢٦(بحث).

الرأس في خارج الرأس: ((ثم الرأس فَظَاهِرُ جِلْدِ الْإِنسَانِ مِنْ رَأْسِهِ، وَسَائِرِ جَسَدِهِ الْبَشَرَةُ))(١).

ثمَّ الْفَرْوَةُ فهي تكون في الرأس:((جِلْدَةُ الرَّأْسِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ الْجَسَدِ))(٢).

ثم الْهامَةُ فهي تكون في داخل الرأس وتقع في وسطه: ((وَسَطُ الرَّأْسِ وَمُعْظَمُهُ))(٣).

أما اليافوخ، فهو الموضع اللين في رأس الصبي، ولا يُشتدّ إلّا بعد سنتين تقريبًا ((وَهُوَ حَيْثُ الْتَقَى عَظْمُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ)).(٤). وَفِي الرَّأْسِ أيضًا الْفَرَاشُ وَهُوَ ((الْعِظَامُ الرِّقَاقُ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا))(٥).

وبعد ذاك يتنقل إلى الصفات الخاصة بالرأس منها: الأَكبَسُ الكبير الرأس: ((وَهُوَ الْمُسْتَدِيرُ الْعَظِيمُ، وَهَامَةٌ كَبسَاء وَكَبَاسُ، وَرَجُلٌ أَكْبَسُ))(٦) ،وَيُقَالُ: رَجُلٌ كَرَوْسُ ((إِذَا كَانَ عَظِيمَ الرَّأْسِ))(٧).

وَمِنْهَا الْمُصْفَحُ: وهو من كان رأسه ممدودًا بين الجبهة والقفا نتيجة ضغط على الصدغين: ((وَهُوَ الَّذِي يُضْغَطُ مِنْ قِبَلِ صُدْغَيْهِ فَيَطُولُ مَا بَيْنَ جَبْهَتِهِ وَقَفَاهُ))(٨) ،وَفِيهِ الصَّعَلُ يُقال: لمن كان صغير الرأس ،فيُقال: ((رَجُلٌ صَعْلٌ وَامْرَأَةٌ صَعلَةٌ وَهُوَ دِقَةٌ فِي

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦٥.
(٢) المصدر نفسه: ١٦٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٦٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٦٦.
(٥) المصدر نفسه: ١٦٨.
(٦) المصدر نفسه: ١٦٩.
(٧) المصدر نفسه: ١٥٩.
(٨) المصدر نفسه:١٧٠.

الرَّأْسِ وَخِفَّةٌ))[١].

ويتّضح من خلال ما سبق: أنَّ الأصمعيّ لم يكن مجرّد ناقلٍ للألفاظ أو جامع لها، بل كان عالمًا لغويًا شديد الملاحظة، يجمع بين الوصف والتحليل في عرضه للألفاظ . فقد اعتمد منهجًا تسلسليًا يبدأ بذكر العضو الرئيس ثم يفُصّله إلى أجزائه ، مع شرح المعاني وبيان الفروق الدقيقة بينهما، ويدعّم ذلك بالشواهد من كلام العرب والشعر .

رابعًا: شواهد الأصمعيّ في كتابه خلق الإنسان:

١-القرآن الكريم:

القرآن الكريم أقدم نصٍّ عربيٍّ صحيح بين أيدينا، ولغة القرآن كانت مفهومة في مدن الحجاز، مثل مكة والمدينة، مما يجعلها تمثّل اللغة الفصحى الأصلية بشكل لا يقبل الشك. وقد أكد اللغويون أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، التي عُرفت بأنها أفصح العرب،[٢] ومن ذلك ما جاء في قول صاحب الخزانة: ((فكلامه عز اسمه أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواترة وشاذه))[٣].

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة للاحتجاج بالقرآن، فإنّني لم أتمكن من العثور على أي استشهاد قرآني عند الأصمعيّ في كتابه خلق الإنسان؛ ولعل السبب وراء ذلك أنه كان يتجنب العمل بالقياس.

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٧٠.

(٢) يُنظر: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف: ٣٠-٣٢.

(٣) خزانة الأدب: ٩/١.

الحديث الشريف:

يُعدّ الحديث الشريف المصدر الثاني بعد القرآن، الذي يُعتمد عليه في الاحتجاج اللغوي، وهو كلام رسول الله (ﷺ)، سواءٌ كان قولًا أو فعلًا، مكتوبًا أو منطوقًا، ويُحتجّ به لإيجاد الأحكام الشرعية، وتفسير النصّ القرآني. وقد اختلفت معتقدات العلماء في الاستشهاد به من حيث أنواعه ومراتبه(١).

فقد احتجّ بالحديث كثيرٌ من النحاة واللغويين، ولكن بنسبة أقلّ من الاستشهاد بالقرآن. ومن ذلك ما ذكره الخليل في العين، إذ استشهد بقولٍ لرسول الله (ﷺ): **((إياكم وخضراء الدمن))**(٢). ويريد بها المرأة الحسناء في المنبت السوء(٣).

وفي كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي، لم أجد له أي استشهاد بالحديث، وهذا الغياب استمرّ في مؤلفاته الأخرى. ولا عجب في ذلك، لأنه كان حذرًا من القياس، ومن دخول الفساد والانحراف في مصداقية القرآن والحديث، وبناءً على ذلك، يمكن القول: إن غياب شواهد القرآن الكريم والحديث لدى الأصمعيّ يعود إلى عنايته المميزة بهما، وخشيته من أن يؤدي استخدام القياس إلى اختلاط الفساد بهما. (٤).

٣- كلام العرب:

أ- الشعر:

الأصمعيّ أولى الشعر عناية فائقة ، فقد قصر معظم كتابه على الشعر ، إذ مثّلت الأبيات الشعرية الجزء الأكبر من شواهده، فقد بلغ أن عدد شواهد الشعر عنده مئتين

---

(١) يُنظر: موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث:٥-٦. دراسات في العربية وتاريخها: ٣٤.

(٢) مسند الشهاب (القضاعي): ٩٦/٢.

(٣) يُنظر: العين: ١٧٦/٤.

(٤) يُنظر: الأصمعيّ حياته وآثاره: ١٤٤-١٤٥.

وتسعين شاهدًا، بين رجز وشعر(١).

وكان منهجه في إيراد الأبيات أنه يذكر البيت ، ثم يشرح غريبه ، ومن ذلك في حديثه عن الحمل والولادة واصفًا حال المرأة في مدة الوحام(٢).

أورد قول العجاج:

أَزْمَانَ لَيْلَى عَامَ لَيْلَى وَحَمِي(٣)

ثم ذكر تفسيره: ((أَي شَهْوَتِي، وَوَحمَى فَعْلَى مِنَ الْوَحَمِ وَيُقَالُ وَخَمَتْ تَوْحَمُ وَحَمَا))(٤).

ب- النثر:

كان الأصمعيّ يستشهد بكلام العرب كما يستشهد بالشعر، وكثيرًا ما يقول: سمعت العرب، يقول العرب ،بعض العرب يقول، ومن ذلك قوله: في مواضع عديدة منها حديثه عن الرأس، وفي الرأس تكون الأذنان وفي الأذنين الغُرضُوف ثم يذكر: ((بعض العرب يقول: الغُضْرُوف، وهو ما أشبه العظمَ الرقيق من فروعها، وهو مُعلَّق الشنوف منها، وحِتارُها كِفافُ حروفِ غَضاريفِها))(٥).

---

(١) معاجم خلق الإنسان في التراث:وأثرها في الدراسات النحوية والصرفية دراسة وصفية تحليلية موازنة ٢٥(بحث).

(٢) يُنظر: خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٥٨.

(٣) ديوان العجاج: ١٧٠.

(٤) خلق الإنسان (الأصمعيّ):١٥٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٧٠.

وفي حديثه عن الحاجبين ذكر: ((وكانت العرب تستحبّ البَلَج وتَمدح به، ويَكرهون الغَمَم. يُقال: رجلٌ أبْلَج وامرأةٌ بَلْجَاء))[١]، ويُقصد بالبلج هنا تباعد ما بين الأسنان، ويطلقُ أيضًا على من كان في يديه ميل أو التواء[٢].

ج- الأمثال:

أولى العرب الأمثال عناية فائقة ، تمثلت في تعدّد مؤلّفاتهم التي عُنيت بروايتها وجمعها وشرحها، وقذ تنوعت الأساليب التي سار عليها المؤلّفون في كتابة الأمثال، فظهرت كتب مهمة، من أوائلها أمثال العرب للمفضل الضبي (ت١٧٠هـ على خلاف)، وكتاب مؤرج السدوسي(ت ١٩٥هـ) ومن أبرزها: مجمع الأمثال للميداني (ت ٥١٨هـ)، والمستقصى في الأمثال للزمخشري (ت٥٨٣هـ) ، ولم تقتصر عناية الأمثال على المؤلفين فقط، بل شملت علماء اللغة الذين وجدوا فيها مادة غنية تدعم قواعدهم النحوية واللغوية، وذلك لبرهانهم أن الأمثال نصوص ثابتة لا تخضع للتغير[٣].

وأنها حظيت بأهمية كبيرة، وانتشرت بين الناس لما لها من توافق مع لغتهم وأساليب حياتهم اليومية[٤].

كان استشهاد الأصمعيّ بالأمثال محدودًا ، إذ لم يمنحها العناية التي أولاها للشواهد الشعرية، وأن عدد الأمثال التي ذكرها لم يتجاوز ثمانية أمثال فقط ومن ذلك حديثه عن العنق قال: ((أَمَا وَاللَّهِ لَأُقِيمَنَّ صَعَرَكَ أَيْ لِأُقِيمَنَّ لَكَ مَلَكَ))[٥]، ويريد به الميل: ((أي

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٨٠.
(٢) يُنظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٥٢٥٤/٨.
(٣) يُنظر: الأمثال في كتاب سيبويه عرض ومناقشة وتقويم(بحث): ٣٠٩.
(٤) يُنظر: الأمثال في الحديث النبوي:٢٢٠.
(٥) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ٢٠١.

مَيْلُكَ والصَّعَرُ مَيْلٌ في العُنُقِ))[١].

ويقال ذلك أيضًا في الرجل المعوج: ((المائل عَن الْحق والصعر ميل فِي الْوَجْه من كبر أَي لأردنك إِلَى الْحق بالقهر وَالْغَلَبَة))[٢]، فالمراد هنا الاعتدال عن الكِبر والتعالي، وتصحيح الاعوجاج سواءٌ كان ملموسًا في العنق أو مجازيًا في طبيعة السلوك[٣].

٥- مصادر الأصمعيّ في كتابه خلق الإنسان:

كانت الرواية الشفوية تمثل الوسيلة الأساسية لجمع اللغة ونقلها ، إذ عُدّ الأعراب في البادية مصدرًا للغة الفصحى، فمع بدء القرن الأول وحتى منتصف القرن الثاني الهجري، بدأ التدوين اللغوي يظهر، مما أدى إلى ظهور العديد من المؤلّفات التي وثقت علوم العربية، مع ذلك بقي الاعتماد على المشافهة والرواية هو الأساس، وقد أولى علماء اللغة عناية خاصة بمصداقية الرواة، واعتمادهم على السماع من أفواه الفصحاء، والرواية المباشرة من العلماء، مما أدى إلى ظهور كتب تعتمد على النقل عن المصادر الشفوية، ومن أبرزها: الأمالي لأبي علي القالي(ت٣٥٦هـ)، الذي اعتمد في معظم مؤلفاته على ما نقله عن شيوخه ، مثل أبي حاتم والأصمعيّ[٤].

فكانت مصادر اللغويين القدماء سماعية ، وعُدَّ الأصمعيّ رواة اللغة ، إذ كان يستمدها من منابعها الأصلية مباشرة، من أفواه الأعراب والرواة، فلم يذكر الأصمعيّ في كتابه (خلق الإنسان)شيئًا عن العلماء الذين سبقوه، ولا عجب في ذلك، إذ كان يعتمد على المشافهة، مستندًا إلى رواية العرب، فقد كان السماع المصدر الرئيس الذي اعتمد

(١) مجمع الأمثال (الميداني): ٢٠٦/٢.
(٢) يُنظر جمهرة الأمثال: ٢٠٢/٢.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٠٢/٢.
(٤) يُنظر: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري: ٢٤-٢٥.

عليه في مؤلّفاتهِ كتابهِ [١].

ويؤكد ذلك قوله: ((وبعضُ الْعَرَبِ يُسَمِّي الْأَجلَادَ التَّجَالِيدَ))[٢] إذا كَانَ الشخص ضَخْم البنية قَوِيَّ الأعضاء والجسم[٣] فيُقَالُ في ذلك: ((فُلانٌ عظيمُ الأَجْلَادِ والتجاليد))،[٤] ((وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا لَحَسَنُ الْوَجْهِ حَلِيفُ اللسَانِ طَوِيلُ الْأُمَّةِ ، وَالْحلِيفُ. الحَدِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))[٥].

ويُراد بهذا الوصف أن الشخص يجمع بين جمال الملامح وفصاحة اللسان ورفعة المكانة بين الناس. كما أن لفظ حليف عند العرب يُطلق على كلّ ما كان قويًا وشجاعًا وصلبًا في مختلف الأوصاف[٦].

ومما يدلّ على اعتماد الأصمعيّ على ما سمعه، نقله قولًا عن عيسى بن عمر إذ يقول: ((وَأَخْبَرَنِي عِيسَى بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَتِ أمرأة لابنتِهَا: لَا تَهْدِي إِلَى ضَرَّتِكِ الْكَتِفَ فَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي بَيْنَ أَلليها أَيْ أَهْدِي إِلَيْهَا شَرًّا مِنْهَا))[٧].

(١) يُنظر: معاجم خلق الإنسان في التراث وأثرها في الدراسات النحوية والصرفية دراسة وصفية تحليلية موازنة: ٢٤(بحث).
(٢) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦٥.
(٣) يُنظر: تهذيب اللغة: ٣٤٧/١٠.
(٤) تاج العروس: ٥٠٧/٧.
(٥) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦٤.
(٦) يُنظر: تهذيب اللغة: ٤٥/٥.
(٧) خلق الانسان (الاصمعي) : ١٦٤.

المبحث الثاني

أثر الأصمعيّ في كُتُبِ خلقِ الإنسانِ اللاحقةِ

أولًا: الأثرُ في المقدّمةِ:

تباينت مناهج كتب خلق الإنسان فيما يتعلق بكتابة المقدمة، فالمقدمة لها أهمية كبيرة، إذ تُعد المدخل لكل مؤلَّف، ومن خلالها يتعرف القارئ منهجَ الكتاب، وطريقة تأليفه، وأسباب تأليفه. كما أنها توضح كيفية التعامل مع الكتاب، سواءٌ أكان معجمًا أم غيره وتشرح تفاصيل تقسيمه، وما يحتاج إلى بيان أو تفسير. لذلك أولى العديد من المؤلفين القدامى عناية بالغة بالمقدمة ومنحوها حقها، وهو ما سار عليه المحدثون، فيندر أن يخلو كتاب حديث من مقدمة أو تمهيد(١).

أما الأصمعيّ في كتابهِ(خلق الإنسان) ،فلم يضع مقدمة توضح منهجه أو الغاية من تأليفه ،فهو يبدأ بالبسملة مباشرةً من دون تقديم لموضوع كتابه.

وقد استمر هذا الغياب بعد الأصمعيّ، فعند تأمّل مقدمات كتب خلق الإنسان، نجد تفاوتًا بيّنًا، فبعض هذه الكتب اشتمل على مقدمات واضحة المعالم، تُبرز منهج المؤلّف وغايته، في حين افتقرت أخرى إلى أي مقدمة، منهم: محمد بن حبيب البغدادي ، لم يبتدئ كتابه بمقدمة يبين فيها منهجه أو يذكر فيها سبب تأليفه للكتاب، وقد جاء في أول كتابه سند الكتاب وصولا إلى أبي العباس الطوسي، فقال: ((أملى على أبو جعفر محمد ابن حبيب: تسمية ما في البدن مرتبًا على حروف المعجم))(٢). ثم شرع بالكلمات التي تبدأ بحرف الألف(٣).

---

(١) يُنظر: مؤلفات خلق الإنسان دراسة وصفية تاريخية: ٣٣٢١(بحث) .

(٢) خلق الإنسان في اللغة: (ابن حبيب): ٤٣.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٤٤.

ويُعد هذا الأسلوب دليلًا واضحًا على تأثره بمنهج الأصمعيّ، الذي غابت المقدمة في كتابهِ خلق الإنسان.

وسار على هذا المنهج أبو عبد الله الخطيب الإسكافي في مؤلفه(خلق الإنسان) فلم يضع مقدمة توضح غرضه من التأليف أو المنهج الذي سار عليه وإنما بدا كتابه بالبسملة وقال: ((الحمد لله رب العالمين حَمْدَ الشاكرين ، وصلواته وسلامه على محمد وآله الطاهرين))[١].

ويتّضح أثر الأصمعيّ في منهج كلٍّ من محمد بن حبيب البغدادي وأبي عبد الله الخطيب الإسكافي في مؤلفيهما خلق الإنسان ، فقد اتّبع كلاهما المنهج نفسه الذي سار عليه الأصمعي، والمتمثّل في غياب المقدمة التي تُعرّف بمنهج الكتاب وموضوعاته. ويعكس هذا التأثر منزلة الأصمعيّ بوصفه رائدًا لمن ألّف في موضوع خلق الإنسان.

وثَمَّة مؤلفون آخرون اتبعوا مسارًا مختلفًا، فجعلوا لمؤلفاتهم مقدمات توضّح منهجهم وغاية تأليفهم. ويُعدُّ هذا التباين تطورًا في المنهج والأسلوب بين من ألّف بعد الأصمعيّ في موضوع خلق الإنسان. ومن أبرز هؤلاء:

١-ثابت بن أبي ثابت:

افتتح ثابت بن أبي ثابت كتابه بالبسملة، ثم سأل الله بطلب التيسير والعون،ثم شرع في التمهيد لموضوع كتابه، موضحًا أنه يختص بـ خلق الإنسان، سواء من الناحية الخَلقْية، أم الخُلقية، وأكّد أن هذا الكتاب ليس تأليفه الشخصي، بل هو جمعٌ وتأليفٌ منقولٌ عن أقوال كبار العلماء والرواة، من ذلك: ((أبو عبيد، والأثرم، وسلمه بن عاصم وابن الأعرابي، والأصمعيّ ، وأبو زيد الأنصاري))[٢] ،وقد حرص ثابت على توثيق كلّ قول، ونسبته إلى

(١) خلق الإنسان(الإسكافي): ٣١.

(٢) خلق الإنسان (ثابت): ١.

قائله بدقة، وذكر أن ما جمعه من تلك المصادر يحتوي على زيادات وإضافات، فجمعها ولخصها ونظمها لتخرج بشكل متكامل. كما تعهّد بأنه إذا أورد ألفاظًا عن غير من ذكرهم من العلماء، فإنه سيبيّنه وينسبه إلى أهله بأمانة(١).

٢- وتبعهُ الزجاج (ت٣١٠هـ) في كتابه خلق الإنسان: بمقدمة مختصرة قال فيها: ((هذا كتب يذكر فيه خلق أسماء أعضاء الإنسان وصفاته على ما سمت العرب))(٢). ثم بدأ بذكر الأعضاء.

٣- ثم ابن فارس(ت٢٩٥هـ) في رسالته مقالة في أسماء أعضاء الإنسان:

افتتح أحمد بن فارس مقالته بمقدمة بيّن فيها الغاية من تأليفها؛ وهي حثّ المرء على حفظ أسماء أعضاء جسده، مستنكرًا الإمعان في غريب الألفاظ مع الجهل بأسماء أعضائه عند الحاجة. ثم أشار إلى أصل خلق آدم عليه السلام من الطين بأنواعه والماء بصفاته المختلفة، معللًا بذلك اختلاف ألوان البشر وأخلاقهم.(٣).

٤-ثم الحسن بن أحمد (ت ٦٠٠هـ) في كتابه خلق الإنسان في اللغة:

استهلَّ كتابه بالبسملة، ثم عرض جملةً من الموضوعات، كان من أبرزها بيانُ سبب تأليفه الكتاب ومن ذلك قوله: ((حثَّني ذلك على أن أضَع كتابا أُتحفُك به ، أذكر فيه كلَّ ما في جسد الإنسان من عضو...)) (٤).

٥-ثم كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي(ت٩١١هـ):

بذأ السيوطي كتابه بالحمد والدعاء، ثم وضّح أهمية معرفة أسماء أعضاء الإنسان،

---

(١) يُنظر: خلق الإنسان (ثابت): ١.

(٢) خلق الإنسان (الزجاج): ٧.

(٣) يُنظر: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان: ١٣.

(٤) خلق الإنسان في اللغة (الحسن بن أحمد): ٤٧.

معتبرًا أن الإحاطة بها أمر ضروري لكل من يتّصف بالعلم. وقد ذكر أنه سُئل يومًا عن الفرق بين الوِرْكُ والفَخِذُ، فشعر بالخجل من جهله بهذا التفصيل، مما دعاه إلى الرجوع لكتب اللغة وتأليف كتابٍ شامل في هذا الموضوع، وقد جمع ما كتبه اللغويون السابقون في هذا الباب، وزاد عليه أضعاف ما وجد، مستفيدًا من مصادر متعددة. ثم بيّن منهجه في التأليف، فقسّم كتابه على أبواب، بدأها بباب أسماء جملة الإنسان، ثم أفرد لكل عضو بابًا خاصًا، بدأ فيه بذكر الأسماء، وختمه بالصفاتِ(١).

٦- ثم كتاب جزء في تسمية أعضاء الإنسان لأبي بركات الغزي(٩٨٤هـ):

ابتدأ الغزي رسالته بمقدمة حمد الله فيها وأثنى عليه، ثم صلّى وسلم على النبي محمد (ﷺ)، وبعد هذا الاستهلال ذكر أنه اطلع على كتاب لطيف حسن الترتيب للغوي الأديب أبي جعفر محمد بن حبيب، تعرضَ للأعضاء جسم الإنسان ومنافعها. وقد أعجب الغزي بهذا الكتاب لجمعه وفائدته. إلا أنه رأى قد فاته ذكر الكثير من التفاصيل المهمة. لذا فقد عزم على إضافة ما فاته من معلومات قيمة، مع توضيح المسائل وتحريرها بشكل دقيق. ويشير إلى أنه سيبدأ بكلام ابن حبيب نفسه، مع إضافة المزيد من البيان والتفسير. ويختتم مقدمته بالاستعانة بالله واللجوء إليه (٢).

ويتبيَّن من خلال تتبّع مقدمات كتب خلق الإنسان اللاحقة أنَّ الأصمعيّ قد وضع الأساس الأول لهذا اللون من التأليف، وأنَّ غياب المقدّمة في كتابه أثَّر تأثيرًا واضحًا في بعض من ألَّف بعده، كابن حبيب البغدادي والإسكافي، اللذين سارا على نهجه في إغفال المقدّمة. في المقابل، اتّجه مؤلّفون آخرون إلى تطوير هذا الجانب، فافتتحوا مؤلفاتهم بمقدمات توضّح المقاصد والمنهج وأسباب التأليف، مثل ثابت بن أبي ثابت، والزجاج، وابن فارس، والحسن بن أحمد، والسيوطي، والغزي.

---

(١) يُنظر: غاية الإحسان في خلق الإنسان: ١٧٥(قسم التحقيق).

(٢) يُنظر: جزء في تسمية أعضاء جسم الإنسان: ٧٣.

ويُظهر هذا التباين تطوّر الوعي المنهجي لدى المؤلفين بعد الأصمعيّ، وانتقال هذا النوع من الكتب من مرحلة التأسيس إلى مرحلة النضج العلمي، مع بقاء الأصمعيّ حجر الأساس الذي مهّد الطريق لمن جاء بعده في ميدان التأليف في خلق الإنسان.

ثانيًا: الأثرُ في التّبوِيبِ والتّرتِيبِ:

مدخل:

لم يكن تنظيم اللغويين القدامى وترتيبهم أمرًا اعتباطيا أو فطريًا ، بل هو نتيجة تفكير فلسفي، فعندما تحدثوا عن أعضاء جسم الإنسان كالرأس، والهامة، والجمجمة، والوجه، والأنف، نجد أن هذه الألفاظ على الرغم من اشتراكها في المعنى العام المتمثل في الشرف والسيادة، فانّ لكل عضو رؤية مختلفة عن غيره. فالرأس يرمز إلى الحكمة والقوة الفكرية، والأنف إلى العزة، والوجه إلى الحسن والتقدم والهيبة والجلال، والظهر إلى القوة التي يعتمد عليها في النهوض(١).

وإنّ الله تعالى خلق جسم الإنسان في تناسق بديع، إذ تتلاءم أعضاؤه مع بعضها، بشكل متكامل، فجعل كلّ عضو متناسبًا مع أهمية العضو الذي يليه، فمثلًا الذراعان متناسقان طولًا مع الساقين، والعضدين مع الفخذين، والرقبة تتناسب مع طول العمود الفقري، وكذلك العينان مع الفم ، والأنف مع عرض الجبين، والأذنان مع الخدين، والقلب مع الرئتين، فكلّ عضو في جسم الإنسان خُلق ليكون متوافقًا ومتكاملًا مع الأعضاء المجاورة له، في نظام دقيق يعكس عظمة الخالق(٢).

(١) يُنظر: جسد الإنسان والتغيرات اللغوية: ١٥.

(٢) يُنظر: الإنسان في فكر اخوان الصفا: ١٥٠.

اتبع مؤلّفو كتب خلق الإنسان خطين رئيسين في ترتيب المادة اللغوية:

الأول: هو الترتيب العضوي لجسم الإنسان: ويُعدّ الأصمعي من أوائل الذين اتبعوا هذا الترتيب، فقد بدأ كتابه خلق الإنسان بذكر الرأس وأجزائه، وما يحتويه ظاهريًا وباطنيًا، متدرجًا نزولًا إلى سائر الأعضاء وصولاً إلى القدم، وفصل في كّل عضو وذكر أوصافه وأحواله(١).

والثاني: الترتيب المعجمي: الذي يعتمد على تسلسل الحروف الهجائية من الألف إلى الياء. ومن أبرز المؤلفين الذين اتبعوا هذا النظام: الحسن بن أحمد في مؤلفه: خلق الإنسان في اللغة ، وابن حبيب البغدادي في: خلق الإنسان في اللغة ، أبو بركات الغزي: جزء في تسمية أعضاء الإنسان(٢).

شكّل الأصمعي أثرًا واضحًا في منهجية تبويب واضحة المعالم ،وقد أصبح هذا الأسلوب الترتيبي نموذجًا يُحتذى به، فتأثر به عدد من المؤلفين الذين ألفوا بعده، من أبرزهم: ثابت بن أبي ثابت ، في كتابه خلق الإنسان، وأبي إسحاق الزجاج: في كتابه خلق الإنسان، وابن فارس في رسالتيه: مقالة في أسماء أعضاء جسم الإنسان ، واستعارة أعضاء الإنسان ، وأبو عبدالله الخطيب الإسكافي: في كتابه خلق الإنسان، وجلال الدين السيوطي في كتابه: غاية الإحسان في خلق الإنسان. وسأفصل القول في منهجية كل كتاب ومن أبرزها:

---

(١) يُنظر: غاية الإحسان في خلق الإنسان: ٣٤(قسم الدراسة).

(٢) يُنظر: المصدر نفسه :٣٤ .

١- كتاب خلق الإنسان: لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت (من علماء القرن الثالث الهجري):

اتبع ثابت منهج الأصمعي، وكأنهُ نسخ ماكتبه، وزاد على مادة الأصمعي كثيرًا مما اغفله، وكان أكثر ترتيبًا ودقة إذ وضع الأعضاء داخل أبواب، وتقسيم هذه الأبواب يغطي الجسد بأكمله، فقد بدأ بوصف الرأس ذاكرًا كّل ما يحتويه ومن ذلك قوله: ((فأعلى الرجل رأسه، وهو قُلتُه، وعِلاوَتُه))[١]وفي الرأس الْفَرْوَةُ ((وهي جلدة الرأس، فباطنُها الأَدَمَةُ))[٢]، وفي الرأس الهامة: ((وهي وَسَطُ عَظْمِ الرأْسِ وَمُعْظَمُه))[٣].

لم يكتفِ ثابت بالنقل عن الأصمعيُ فحسب، بل كان يُصرّح باسمه في أغلب الأحيان، فينسب إليه القول بشكل صريح. ومما ورد عنه: ((قال الأصمعي: في الرأس الجمجمة، وهو العَظْمُ الذى فيه الدماغ، وجماعه الدمغُ، وثلاثَةُ أَدْمِغَة))[٤]، ثم يورد صفات الرأس وأحواله: ((ويقال: رَأْسٌ أَكْبَسُ إذا كان مُستديرا ضخمًا، ويقال: رَجُلٌ أَكْبَسُ بَيِّنُ الْكَبَسِ، وامرأَةٌ كَبْسَاءُ بَيِّنَةُ الكبس، إذا كان واحد من هؤلاء ضَخْمَ الرأْس))[٥].

وهكذا يستمر مرورًا بكل أعضاء جسم الإنسان بهذا التفصيل العميق، حتى يصل إلى باب القدم فيذكر مافيها: ((وفي القَدَمِ حِمَارَتُهَا وَعُرْضُهَا وَعَقِبُهَا))[٦]وفي القدم: ((البَخَصَةُ: وهو لحْمُ القَدَمِ))[٧] ثم يورد الصفات الخاصة بها: ((ومن الأقدام السَّبْطَةُ:

---

(١) خلق الإنسان: (ثابت): ٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤٤.

(٤) المصدر نفسه: ٤٧.

(٥) المصدر نفسه: ٥٨.

(٦) المصدر نفسه: ٣٢٢.

(٧) المصدر نفسه: ٣٢٢.

وهي أَمْلَحُ الأَقْدامِ وأَحْسَنُهَا، وهي التي لانَ عَصَبُها وطَالَتْ سُلَامَياتها وأصابعها))[١]ومنها الكرماء: ((وهي القصيرة الأصابع بَيِّنَةُ الكَرَمِ))[٢] ،ومنها المُخَصَّرَةُ: ((وهي التي تَمَسُّ الأَرْضَ مِن مُقَدَّمها))[٣].

يمكن القول: إنَّ ثابتًا اقتفى أثر الأصمعي، سواءٌ في النقل الصريح: ((قال الأصمعي: وفي الجبهة عِرْقَانِ يُسمَّيانِ الشَّأْنَيْنِ يسقيان العينين))[٤]، أو غير الصريح: ((قالوا: في الفم الضَّجَمُ، وهو ميل يكون فيه وفيما يليه من الوجه، يقال: رجل أَضْجَمُ، وامرأَةٌ ضَجْمَاءُ))[٥]، إلا أنه اتبع نهجًا أكثر ترتيبًا ودقة، إذ صنّف الأعضاء تحت أبواب مستقلة وجمعها تحت مسمّى واحد، ومن ذلك: ((باب الرأس))[٦]وباب: ((الشَّيْبِ وَنُعوتِهِ وَشَعَثِ الرأس))[٧]، وباب: ((صفات ألوان الحدقة)) [٨]، وباب: ((ما يُستَقْبَح في العَيْنِ من الصفات بالنظر))[٩]، وباب ((ذكر ما في الفم غير الأسنان واللسان))[١٠].

وقد أضفى هذا التبويب المنهجي والاستقلالية بين الأبواب طابعًا مميزًا على مؤلفه، اتسم بمزيد من التنظيم والوضوح.

---

(١) خلق الإنسان: (ثابت): ٣٢٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٢٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣٢٥.
(٤) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٥) المصدر نفسه: ١٦٠.
(٦) المصدر نفسه: ٤٣.
(٧) المصدر نفسه: ٧٩.
(٨) المصدر نفسه: ١٣٠.
(٩) المصدر نفسه: ١٣٤.
(١٠) المصدر نفسه: ١١٨.

يتجلى التطور الذي شهده التأليف في موضوع خلق الإنسان، ويتضح ذلك بمقارنة مؤلّف الأصمعيّ مع من ألف بعد ، فبينما كان الأصمعيّ يذكر الأعضاء ولا يُفصِل بين العضو والصفة، من ذلك: ((والأنف اسم يَجْمَعُ كُلِّ مَا فِي الْأَنْفِ، وَفِي الْأَنْفِ الْقَصَبَةُ وَهُوَ الْعَظْمُ))[١]، ثم يذكر الصفات معها، ولم يفصلها: ((وَفِي الْأَنْفِ الْقَنَا وَهُوَ ارْتِفَاعُهُ وَأَحْدِيدَابُ وَسَطِهِ وَسُبُوغُ طَرَفِهِ، وَفِي الْأَنْفِ النَّافُ وَهُوَ صِغَرُهُ وَقِصَرُهُ))[٢].

خصص ثابت أبوابًا مستقلة لأعضاء جسم الإنسان ومنها: ((باب الرأس))[٣]، وباب: ((الدمع وما فيه)) [٤].

٢- خلق الإنسان لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ):

الزجاج اتبع أسلوبًا أكثرَ تنظيمًا، فقد ذكر كلّ عضو في باب مستقل، ومن ذلك باب الرأس: ((فجلدة الرأس الظاهرة يقال لها: الفروة والشواة))[٥]، ثم خصص بابًا آخر سماه باب صفة الرأس: ((منها الكَرُوسُ يُقالُ: رجلٌ كروسٌ، وهو العظيمُ الرأس، ومن الرؤوس الأكبَسُ وهو العظيمُ المستديرُ))[٦].

يمكن القول: إنّ الزجاج انّبع أسلوبًا جديدًا في موضوع خلق الإنسان؛ إذ جعل الأبواب التي تخصّ الأعضاء منعزلة عن الصفات الخَلْقية والخُلُقية لهذه الأعضاء، وهو ما يُعدّ أحد مظاهر التطوّر الذي اختلف فيه عن الاصمعيّ .

ورغم التغيير المنهجي الذي أحدثه الزجّاج، فإنهُ اقتفى أثر الأصمعيّ في مواضع

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٨٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٩.
(٣) خلق الانسان (ثابت) :٤٣.
(٤) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٥) خلق الإنسان: (الزجاج): ٨.
(٦) المصدر نفسه: ١٠.

عديدة، أبرزها التزامه بالترتيبَ العضويّ لجسم الإنسان.إذ بدأ بـ(باب الرأس)، فيقول: ((فجلدة الرأس الظاهرة يُقال لها: الفروة والشواة))[١]، ثم ما فيه: ((ووسطُ الرأسِ ومعظمُه يُقال له الهامة، وأعلى الرأس كله يُقال له القُلّةُ، والعلاوة، واليأفوخ؛ وهو من الرأس الموضعُ الذي لا يلتَئمُ من الصبيّ إلا بعد سنتين، وهو حيث التقىَ عظمُ مقدّمِ الرأسِ ومؤخّرِه))[٢].

ثم انتقل إلى ذكر صفات الرأس، ثم خصّص بابًا لألوان الشعر، ثم بابًا لصفات اللحية[٣]، ثم تدرّج إلى أعضاء الوجه الأخرى، فذكر الوجه والعين وصفاتها، ثم الأنف وصفاته، ثم الفم وما يتصل به، ثم العنق وما يتعلق به من صفات، وهكذا استمر في الترتيب حتى وصل إلى القدم، فقال: ((مشطها، وهي العظام التي فوق القدم دون الأصابع، وفيها الأصابع وأطرافها الأنامل))[٤]، وهذا يقترب إلى حدٍّ ما من المنهجية التي اتبعها الأصمعيّ، إذ تعرض لكل عضو وصفاته، لكنه لم يلتزم بترتيبها ضمن أبواب مستقلّة أو منظمة.

٣- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس(ت٣٩٥هـ):

تُعدّ (رسالة أسماء أعضاء الإنسان) لابن فارس من الرسائل اللغوية الصغيرة، إذ لا يتجاوز حجمها عشر صفحات، إلا أنها تحمل قيمة لغوية ثرية ، سواء من حيث المنهجية أو طريقة العرض.

---

(١) خلق الإنسان: (الزجاج) ٨.

(٢) المصدر نفسه: ٨.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه:١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٤٨.

وقد سار ابن فارس في هذه الرسالة على منهج الأصمعيّ، غيرَ أنّه قدّمَ لها بمقدمةٍ، معتمدًا الترتيب العضوي في عرض أعضاء الجسد، مبتدئًا بأعلى الأعضاء. كما يتضح من قوله: ((فأول أعضاء الإنسان من جهة العلو رأسه، وهو مذكر))(١).

ثم ينتقل إلى تفصيل ما في الرأس، فيقول: ((وأوّلُ ما في الرأسِ الشّعَرُ، ومن ذلك الفَوْدان، وهما شعرُ ناحيتَيِ الرأسِ، فإذا فهما أُضفِر فَهمُا الضّفِيرَتانِ))(٢).

ويظهر جليًّا أن ابن فارس اقتفى أثر الأصمعيّ أكثر من غيره من العلماء؛ فلم يلتزم بتقسيم الأعضاء على أبواب كما فعل ثابت، ولم يُفصل بين الأعضاء وصفاتها كما ورد عند الزجاج، فقد كان يذكر العضو مقرونًا بوصفه من دون فاصل بين العضو والصفة، على نحو ما جاء في قوله: ((والحَجاجُ: هو الذي يَنبُتُ عليهِ شعرُ الحاجب والحجاج: هو الذي ينبت عليه شعر الحاجب، والأبْلَجُ الذي لم يَقْتَرِن، والأقرَنُ الذي يَقتَرِنُ))(٣).

فنلاحظ هنا أنه ذكر الحجاج بوصف عضوًا ، ثم اتبع ذلك بذكر الصفة ،من دون أن يفصل بين الموضع والتوصيف، في تطابق واضح مع أسلوب الأصمعيّ ، في الجمع بين العضو وصفته.

إن هذه الرسالة على الرغم من صغر حجمها، فإنها تقدم نموذجًا فريدًا في الوصف اللغوي لأعضاء الإنسان، وتمثل امتدادًا لمنهج الأصمعي في موضوع خلق الإنسان.

٤- خلق الإنسان للخطيب الإسكافيّ(ت٤٢٠هـ):

بدأ أبو عبد الله الخطيب الإسكافي كتابه خلق الإنسان متّبعًا منهج الأصمعيّ في ترتيب الأعضاء ترتيبًا عضويًا، فابتدأ من أعلى الجسد، كما في قوله:((القُلةُ، والقُنةُ،

(١) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان: ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٥.

والعِلاوةُ، والذَّروةُ: الرأس، والشَّواة))[١].

وقد انماز الإسكافيّ بأنه خصّص أبوابًا مستقلةً في كتابه للأعضاء، وأخرى منفصلة لصفاتها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب الرأس، إذ قال:((الهامةُ: أعلى الجمجمة، والرَّماعةُ: وسطُ الهامة، والقبائل: أطباقُ الرأس العراض))[٢]، ثم أفرد بعد ذلك بابًا لصفات الرأس، وذكر فيه أوصافًا مختلفة، منها: ((رأس أكبسُ: ضخمٌ هامتهُ مشرفةٌ على وجهه، ورأسٌ مُصَفحٌ: ضُغطَ من قِبَلِ صدغيه فيطول ما بين جبهته وقفاه))[٣].

غير أنّ الإسكافيّ لم يلتزم هذا النهج الثابت في جميع الكتاب، إذ كان يتنقّل بين منهج الأصمعيّ، الذي يمزج العضو بصفاته في سياق واحد، وبين منهج الزجاج وثابت، اللذين يميلان إلى الفصل بين الأعضاء وصفاتها. ومن الأمثلة على جمعهُ بين العضو وصفاته من دون فصل، ما ورد في حديثه عن القدم، إذ قال:((حِمارةُ القدم: ظهر عظمُها، قريبًا من مفصل القدم))[٤] ثم يتابع مباشرةً: ((وقدَمٌ كَزْماءُ: قصيرةُ الأصابع، وقدَمٌ مُخَصَّرةٌ: وهي التي لا يمسُّ الأرضَ وسطُها))[٥] دون أن يفصل هذه الصفات في باب مستقل.

ويبدو أن منهج الإسكافي غيرَ مستقرّ بعض الشيء؛ فهو تارةً يلتزم الترتيب والتقسيم الدقيق، وتارةً يجمع بين الأعضاء وصفاتها في موضع واحد دون تنظيم ظاهر. ولا يُعلم على وجه اليقين الغاية من هذا التقلّب المنهجي، إلا أن ذلك قد يعكس طبيعة المادة التي جمعها، أو تنوّع مصادره، وربما كان ذلك راجعًا إلى رغبته في تقديم أكبر قدر

(١) خلق الإنسان: الإسكافي: ٤٢.
(٢) المصدر نفسه: ٤٢-٤٣.
(٣) المصدر نفسه: ٤٧.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٠.
(٥) المصدر نفسه: ١٧٠.

ممكن من المادة اللغوية من دون التقيّد الصارم بمنهج واحد.

٥- غاية الإحسان في خلق الإنسان لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ):

جرى السيوطي كتابه على ترتيبٍ منظمٍ ومبوّب، يشمل جميع الأعضاء والصفات، ومنها:((باب الرأس))[١]، ثم ينتقل إلى الصفات تحت مسمّى: ((فصل في الصفات))[٢].

وقد اقتفى أثر الأصمعيّ في اتخاذه الترتيب العضوي، مبتدئًا بالرأس، إذ يقول: ((يقال لأعلى الرأس قُلتُه، وعِلاوَتُه، وذُؤابتُه، وقنُتُه، وذِرْوَتُه))[٣]. ذاكرًا ما فيه داخليًّا: ((ويقال لعظم الرأس الذي فيه الدماغ: الجُمجُمة))[٤]. وقال: ((وتحت الجُمجُمة جلدةٌ رقيقةٌ، يُقال لها: أمُّ الدماغ))[٥]. ثم:((الصّاقُورة: باطن القَحف المُشرِف على الدماغ))[٦].

ثم انتقل إلى الوصف الخارجي: ((الرأس المفلطحُ: العريضُ والمصفحُ مثلُه. والأكبسُ: الذي اشتملت هانته وجبهته))[٧].

وهكذا يمرُّ بالأعضاء كلّها: من الوجه وما فيه، والعنق، واليد، والرجل، وصولًا إلى آخر موضع، وهو: ((الأخمصُ: ما تجافى من باطنِ القَدَمِ، وصدرُ القدم: ما وطئتَ عليه من باطن القدم بين الأصابع والأخمص))[٨].

---

(١) غاية الإحسان في خلق الإنسان: ١٨٣(قسم التحقيق).

(٢) المصدر نفسه: ١٨٣-١٩٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٣(قسم التحقيق).

(٤) المصدر نفسه: ٨٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٨٤.

(٦) المصدر نفسه: ١٩٠.

(٧) المصدر نفسه: ١٩٠.

(٨) المصدر نفسه: ٣٠٢.

ثم ينتقل إلى فصل في الصفات، فيقول: ((والرَّوَحُ: أن تكون القدمُ مُقبّلِةً على شقّ وحشيّتها، والقَفَدُ: أن تكونَ رأسُ القَدَمِ مائلًا إلى وَحشيّ الرِّجل))(١).

٦- كتاب خلق الإنسان لأبي القاسم العُصّافي:

لم يصل إلينا النص المخطوط أو المُحقَّق للمؤلِّف، بل إنَّه جمعت نصوصه ولا نعرف هل إنّ االعصافي اختصر كتابه أم أن السيوطي هو من اختصر مانقله عنه .

ويبدو من خلال النصوص المجموعة والمنقولة عن العُصّافي أنّه كان متابعًا لمنهج الأصمعيّ في ذكره أوّل الأعضاء شأناً، إذ يقول: ((القِمّةُ: أعلى الرأس، ووَسَطُه))(٢)، واصفًا ما بداخله: ((الهَامَةُ: أعلى الرأس، وهي وسطُه))(٣)، ثم خارجًا: ((والفَروةُ: جلدةُ الرأسِ خاصّة))(٤)، ثم يذكر الصفات الخاصة به: ((الرأسُ المُفلطَحُ: العريضُ، والمُصفَّحُ مثلُه))(٥)، ((والأكْبَسُ: الذي اكتملت هامَتُه وجَبهتُه، والخَشَاشُ: الصغيرُ، والصَّعَلُ مثلُه))(٦).

ويتضح من خلال تتبّع منهج التأليف في كتب خلق الإنسان اللاحقة أنَّ الأصمعيّ كان الرائد في وضع الأساس الأول لهذا اللون من التأليف، فقد قدّم مادة علمية غنية، لكنها خلت من التنظيم الدقيق والتقسيم المنهجي، إذ كان يورد الأعضاء وصفاتها في سياق واحد دون تفصيل. ثم جاء ثابت بن أبي ثابت ليُحدث أول تطوّر منهجي واضح، فصنّف الأعضاء تحت أبوابٍ مستقلة، وجمع ما يتصل بها من صفات، مما منح كتابه طابعًا أكثر شمولًا وتنظيمًا. وتابعه الزجّاج في اعتماد الأبواب، لكنه اتجه إلى الفصل بين

(١) غاية الإحسان في خلق الإنسان: ٣٠٤.
(٢) خلق الإنسان: العصافي:١١٧٩.
(٣) المصدر نفسه:١١٧٩.
(٤) المصدر نفسه: ١١٧٠.
(٥) المصدر نفسه: ١١٧٩.
(٦) المصدر نفسه: ١١٨٠.

الأعضاء وصفاتها، فصار منهجه أكثر تحديدًا ودقة في العرض.

أما ابن فارس فقد عاد إلى البساطة الأصمعيّة، مكتفيًا بالترتيب العضوي دون تبويبٍ أو فصلٍ، مع إضافة مقدّمةٍ تُبرز وعيه بطبيعة الموضوع. في حين جمع الإسكافيّ بين الطريقتين؛ فكان أحيانًا يلتزم التقسيم الواضح، وأحيانًا يمزج الأعضاء بصفاتها، مما جعل منهجه متفاوتًا بين الأصمعيّ ومن تبعه. ثم تطوّر هذا المنحى أكثر عند السيوطي الذي قدّم تأليفًا ناضجًا من حيث التبويب والترتيب، إذ نظّم الأعضاء في أبوابٍ والصفات في فصولٍ مستقلة، فكان عمله ذروة النضج في هذا الجانب.

أما العُصّافيّ فاقتفى أثر الأصمعيّ في الترتيب العضوي، إلا أنّ منهجه يدل على تأثّره بمن سبقه، خاصّة في محاولته الموازنة بين ذكر العضو ووصفه، مع الحفاظ على التدرّج من الأعلى إلى الأسفل في ترتيب أعضاء الجسم الإنساني .

ومن ثَمّ، يتبيّن أنَّ التأليف في موضوع خلق الإنسان مرَّ بمراحل تطوّرٍ تدريجيّ، بدأت بالعرض الوصفي غير المنظَّم عند الأصمعيّ، ثم اتجهت إلى التبويب والتقسيم عند ثابت والزجاج، وتنوّعت بين التوسّع والاختصار عند الإسكافيّ وابن فارس، حتى بلغت تمام نضجها عند السيوطي، الذي جمع بين الترتيب العضويّ والتبويب العلميّ الدقيق.

المبحث الثالث

أثرُ الأصمعيّ في شواهدِ الكُتُبِ ومصادرِها

مدخل:

تنّوعت الشواهد في مؤلّفات خلق الإنسان، فاشتملت على آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة، وشواهد من الشعر والنثر، كالأمثال وأقوال العرب.

اتبع الأصمعيّ في كتابه خلق الإنسان أسلوًبا فريدًا في التأليف، معززًا بغزارة شواهده، الشرح الدقيق لغريب الألفاظ.

وقد استنتجت الدكتورة وجيهة السطل أن للأصمعيّ تأثيرًا واضحًا في من ألف بعده، سواء من خلال النقل الصريح أو غير الصريح(١) ويظهر هذا التأثير في اعتماد مؤلفي كتب خلق الإنسان على الشواهد المتنوعة، مع بيان أثر الأصمعيّ فيها، وكذلك مواضع غاب فيها أثره، من خلال تتبّع تطورها لدى من ألف بعده.

أولًا الأثر في الشواهد:

١- القرآن الكريم:

ويُراد بالشواهد هنا ما اقتُبس من القرآن الكريم، ويُعدّ في أعلى منزلة بين سائر الشواهد؛ لما يتضمنه من فصاحة بلاغية، ودلالة قطعية يُؤمن بها (٢).

وقد اختلف مؤلّفو كتب خلق الإنسان في موقفهم من الاستشهاد بالآيات القرآنية؛ فمنهم من لم يستشهد بأي آية، ومن أبرزهم: الأصمعيّ: في كتابه خلق الإنسان، إذ خلا من أي استشهاد قرآني. ويعزى ذلك إلى ابتعادهُ عن القياس وتفسير الآيات، وتجنبه

(١) يُنظر: جسم الإنسان في معاجم المعاني دراسة تحليلية لغوية: ٣٦.

(٢) يُنظر: الشاهد اللغوي: ٢٦٧(بحث).

الوقوع في الخطأ عند التعامل مع النصوص القرآنية ، وحرصًا منه على صون لغة القرآن من التحريف والاختلاط [١].

وقد سار على خُطاه كلٌّ من الزجّاج في: مؤلفه خلق الإنسان، وأحمد بن فارس: في رسالته مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، والخطيب الإسكافي: في كتابه خلق الإنسان، وكذلك جلال الدين السيوطي: في مؤلفه غاية الإحسان في خلق الإنسان.

وفي المقابل، وجدنا مؤلفين لغويين آخرين قد استشهدوا بالقرآن الكريم وآياته في مؤلفاته ومن أبرزهم: ثابت الذي استشهد بالقرآن الكريم في ثلاثة مواضع مختلفة.

بيّن الأصمعي مراحل خلق الإنسان دون الاستعانة بشواهد قرآنية، مع أن نصوصًا قرآنية صريحة عُنيت بهذه المراحل ومنها: ((وَيَكُونُ نُطْفَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَعَلَقَهُ مِثْلُهَا، وَمُضْغَةٌ مِثْلُهَا ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ))[٢] فلم يتبع ثابتٌ الأصمعيَّ في ترك الاستشهاد بالآيات، بل استشهد بها، ومن ذلك ما ورد عنده في حديثه عن الحمل والولادة، إذ قال: ((ثم يَبْعَثُ اللَّهُ ملكًا فَيَنْفُخُ فيه الروح))[٣].إذ استشهد بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ** ﴾[٤].

ذكر الأصمعيّ في (باب الظهر) المعنى اللغوي للفظة (جنف) دون الاستعانة بأي استشهاد قرآني، إذ يقول: ((وإذا كان عوجٌ في أحد شِقَّيْه قيل: به جَنَفٌ شديد، وقد جَيْفَ يَجْنَفُ جَنَفًا، ورجلٌ أَجْنَف، وامرأةٌ جَنْفَاه.))[٥] أما ثابت فيورد المعنى نفسه، إذ يقول: ((كان في الرَّجُل عَوَجٌ فِي أَحَدِ شَقَّيْه قيل: به جَنَف وحَدَلٌ، يقال: جَنفَ يَجْنَفُ جَنَفًا،

(١) يُنظر: الأصمعيّ حياته وآثاره: ١٤٤-١٤٥.
(٢) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٥٧.
(٣) خلق الإنسان:(ثابت): ٢.
(٤) سورة (الإنسان): آية(٢).
(٥) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ٢١٢.

وَرَجُلٌ أَجْنَفُ وامرأَةٌ جَنفَاءُ))[١]. لكنه يعزّزه باستشهاد قرآني، وهو قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا**﴾[٢].

وهذا يُظهر أن ثابتًا لم يسر على نهج الأصمعيّ في استبعاد الشواهد القرانية في كتاباته إذ كان لا يكتفي بالشرح فقط ، بل اتجه إلى تعزيز كلامه بالشواهد القرآنية.

ورد عند ثابت في أثناء حديثه عن اللسان : ((وفي اللسان العُقْدُ ، وهو انعقادٌ فيه ، يقال: رجلٌ أعقَدُ، وامرأَةٌ عقداءُ اللّسانِ))][٣] مستشهدًا بقوله تعالى ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[٤].

وكان الحسنُ بنُ أحمدَ أكثرَ من استعملَ الشاهدَ القرآنيَّ، إذ أورده نحو ثلاثٍ وثلاثين مرّةً. ومن ذلك قولُه: (ناعِضُ الكتف: عُرْضوفُها، وهو طَرَفُ عَظْمِها اللَّيِّن...))[٥] مستشهِدًا بقوله تعالى: ﴿**سَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ** ﴾[٦].

وأبو بركات الغزي استشهد أيضًا بالقرآن في ستةِ مواضعَ مختلفة، ومن ذلك ما ذكره في أثناء حديثه عن السمع: ((السَّمْعُ: هو حِسُّ الأُذُن، وما وَقَرَ فيها من شيءٍ تسمعه، يكون واحدًا))[٧]،إذ استشهد بقوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ**﴾[٨].

---

(١) خلق الإنسان: (ثابت): ٢٤٢.
(٢) سورة (البقرة): آية (١٨٢).
(٣) خلق الإنسان (ثابت):١٨٦.
(٤) سورة (طه): آية (٢٧).
(٥) خلق الإنسان في اللغة (الحسن بن أحمد): ٣٠٣.
(٦) سورة (الإسراء) : آية (٥١).
(٧) جزء في تسمية أعضاء الإنسان: ١٢٧.
(٨) سورة (البقرة):آيه(٧) .

أما السيوطي فاستشهد بالقرآن الكريم في موضع واحد، وذلك في سياق حديثه عن الرأس، إذ قال: ((ويقال لجلدة الرأس الفروة، ويقال لها الشوى أيضًا، والشواة في الرأس هي الدائرة في وسطه))،(١) مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿**نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ**﴾(٢)، في حين نجد الأصمعي يذكر اللفظ ويشرحهُ من غير شاهد قرآني: ((ثمَّ الْفَرْوَةُ وَهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ الْجَسَدِ))(٣).

٢- **أما الحديث النبوي** فهو يلي كلام الله العزيز في الفصاحة والبلاغة وسلامة العبارة، وكان من الأولى أن يُعدّ المصدر الثاني من مصادر اللغة المسموعة في الاستشهاد والاحتجاج(٤).

وانقسم مؤلّفو كتب خلق الإنسان على قسمين في موقفهم من الاستشهاد بالحديث النبوي؛ فمنهم من لم يستشهد به إطلاقًا، كالأصمعي، فلم يذكر في مؤلّفه خلق الإنسان أي استشهاد بالحديث على غرار موقفه من القرآن وللسبب نفسه أنهُ كان يبتعد عن القياس (٥). وتَبِعه في ذلك كلٌّ من الزجّاج، وأحمد بن فارس، والخطيب الإسكافي، والسيوطي؛ إذ لم يرد عنهم أي استشهاد بالحديث النبوي في مؤلفاتهم التي عنيت بخلق الإنسان.

أما القسم الثاني، فقد احتجّ بالحديث الشريف ، ومن أبرزهم: ثابت، والحسن بن أحمد، وأبو البركات الغزي. فقد أورد ثابت عددًا من شواهد الحديث النبوي ،ومن ذلك

---

(١) غاية الإحسان في خلق الإنسان: ١٨٥.

(٢) سورة (المعارج):آيه(١٦) .

(٣) خلق الإنسان الأصمعيّ:١٦٦.

(٤) يُنظر: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث: ١٤.

(٥) يُنظر: الأصمعيّ حياته وآثاره: ١٤٤-١٤٥.

حديثه عن: ((أدواء البطن وفساده))[١] فاستشهد بالحديث النبوي: ((لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حتى يَرِيَهُ خَيْرٌ من أَن يَمْتَلِي شِعرًا)) [٢].

أما الحسنُ بن أحمد فذَكَرَ عددًا كبيرًا من الأحاديث، بلغَت نحو ثلاثة وخمسين حديثًا.

وذكر الغزي حديثين فقط ، من ذلك ما أورده في حديثه عن لفظة الرُّوع في باب الراء، إذ قال: ((الرُّوع، بالضم: هو القلب أو العقل))[٣] واستشهد على ذلك بالحديث النبوي: ((إنَّ روَح القُدَسِ نفثَ في رُوعِي))[٤].

٣- **أما الشعر العربي:** بما يتضمنه من ألفاظ متعددة وفنون متنوعة، فيُعدّ المصدر الثالث الذي استند إليه مؤلفو الرسائل اللغوية في إثراء المادة اللغوية. وقد تبيّن أن أغلب الألفاظ الواردة في هذا الشعر قد استُعملت في تلك الرسائل[٥]. كما لم تَخلُ الموضوعات التي خصّت خلق الإنسان من الاستشهاد الشعري ، إذ بدأ تأثير الشعر فيها واضحًا. ويُعد الأصمعيّ في كتابه خلق الإنسان من أبرز من أولى الشعر عناية بارزة، إذ شكلت الأبيات الشعرية الجزء الأكبر من شواهده، وقد ذكر بعض الباحثين أن عدد شواهد الشعر عنده بلغ مائتين وتسعين شاهدًا بين رجز وشعر[٦]، فعلى سبيل المثال ما ذكره عنده حديثه عن الرأس أورد شاهدًا للعجاج[٧]:

---

(١) خلق الإنسان: ثابت: ٢٧٣-٢٧٦.

(٢) المعجم الكبير: الطبراني: ٢٥٢/٦.

(٣) جزء في تسمية أعضاء الإنسان: ١٢٢.

(٤) صحيح البخاري: ٦٦٦/١.

(٥) يُنظر: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث: ٦٧-٧٠.

(٦) يُنظر: معاجم خلق الإنسان في التراث وأثرها في الدراسات النحوية والصرفية دراسة وصفية تحليلية موازنة: ٢٥.(بحث).

(٧) ديوان العجاج: ٥٥٧.

فِــي صَــلَبٍ مِثْــلِ الْعِنَــانِ الْمُــؤدمِ وَكَفَــــــل بَنحْضِـــــــهِ مُلَكَّـــــمِ

ثم يشرح مقصد الشاعر بقوله: ((الصَّلَبُ وَالصُّلْبُ وَاحِدٌ فِي لُغَةِ الْعَجَّاجِ ،وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْدَمَ اللَّيِّنُ))(١)

وقد اقتفى أثره ثابت فاستشهد بشعر كثير وزاد عليه إذ يستشهد أحيانًا بأكثر من بيتين، ومن ذلك ما ذكره في حديثه عن (باب الرأس) ،فقال: ((فأعلَى الرَّجلِ رأسُه ، وهو قُلَّتُهُ، وعِلاوَتُه ، يقال في جَمْعِ القُلَّة قُلَلٌ وقِلالُ. وفي العِلاوَةِ عَلاوَى))(٢)

واستشهد بقول ذي الرمة:

يُسَـــــعرُها بِـــــأَبْيَضَ مَشْـــــرَفِي كَضَــوْءِ الْبَــرْقِ يَخْــتَلِسُ الْقِــلَالَا(٣)

وقول عنترة:

يَتْـــــبَعْنَ قُلَّـــــةَ رَأْسِـــــه وكأنـــــه حَــرَجٌ عَلَــى نَعْــشٍ لَهُــنَّ مُخَــيَّمِ(٤)

واحتج عدد آخر منهم بعددٍ أقلّ ممّا احتج به الأصمعي وثابت. ومنهم ابن حبيب البغدادي لم يورد إلا عددًا قليلًا من الأبيات الشعرية. ومن ذلك ما ذكره في حديثه عن العنق: ((كرد: هو العنق))(٥).

كما في قول الفرزدق

وكُنَّـــا إِذا الْجَبَّـــارُ صَـــعَّرَ خَـــدَّهُ ضربناه تحتَ الأُنْثَيَيْنِ عَلى الكَرْدِ(٦)

---

(١) خلق الإنسان (الأصمعيّ): ١٦٥.

(٢) خلق الانسان (ثابت) : ٤٣.

(٣) ديوان شعر ذي الرمة: (كارليل هنري): ٤٥١.

(٤) ديوان عنترة(محمد سعيد مولوي): ١٣٨. وفيه (زوجٌ على حَرِجٌ) بدل حَرِجٌ على نعشِ)

(٥) خلق الإنسان في اللغة: ابن حبيب: ٦٩.

(٦) شرح ديوان الفرزدق(علي فاعور): ٣٠١/١. وفيه (**وَكُنّا إذا القَيْسيُّ نَبّ عَتُودُهُ ضرَبناهُ فَوْقَ الأنثَيَنِ على الكَرْدِ.**)

ويقول أيضًا في حديثه عن الفخذ: ((كاذةٌ: وهي فَضْلُ ما بين الأَلْيَةِ والفَخِذِ)).[١] قال جرير:

غليظــــة جِلْــــدِ الكَــــاذَتَيْنِ تَحَفَّشَــــت علــى مثــلِ حِرْبَــاءِ الفَــلَاةِ الْمُعَمَّــمِ[٢]

أما الحسن بن أحمد فكان كثير الاستعمال للشعر أيضًا ، ومنها في حديثه عن الكتف قال: ((الأنقاء: عظام الذراعين والعَضُدَيْن والسَّاقَيْنِ ، وهي القَصَبُ. يقال فلان طويل الأنقاء))[٣] مستشهدًا بقول العجاج:

في سَلِبِ الْأَنْقَاءِ غَيْرِ شَحْتِ[٤]

وذكر السيوطي في باب الرأس عند حديثه عن الجمجمة: ((وفي الجمجمة. أربع قبائل متقابلة: أي أربع قطع: واحدة من قبل الجبهة وواحدة من قبل القفا. وثنتان من ناحيتي الرأس. وتجمع بين أعاليهن الشؤون))[٥]، ثم أورد شاهدًا شعريًا وهو قول أوس بن حجر:

لا تحزنينـــــي بـــــالفراق فـــــإنني لا تَسْــتَهِلُ مــن الفــراقِ شُــؤوني[٦]

وفي باب العين ذكر ((واللَّحْدُ: العَظمُ الذي فيه العين))[٧] ثم أورد شاهدًا وهو قول ذو الرمة.

إذا استوحشت آذانها استأنستْ لها أناسيُّ ملحودٌ لها في الحواجبِ[٨]

---

(١) خلق الإنسان في اللغة (ابن حبيب) البغدادي: ٧١.

(٢) ديوان جرير بشرح ابن حبيب: ٢٧٢/١.

(٣) خلق الإنسان في اللغة (الحسن بن أحمد): ٣٠٣.

(٤) غاية الإحسان في خلق الإنسان: ١٨٤.

(٥) ديوان العجاج: ٢٩٦.

(٦) ديوان أوس بن حجر: ١٢٩.

(٧) غاية الإحسان في خلق الإنسان: ٢٠١.

(٨) ديوان ذو الرمة: ٢١٥.

وذكر بركات الغزي اللفظ: ((الكين: لحم باطن الفرج ، أو غُدَدٌ فيه ،كأطراف النَّوَى، أو البَظْرُ ، والجمع كيون))[١] ثم يورد الشاهد، وهو قول جرير:

غَمَـزَ ابْـنُ مُـرَّةَ يـا فـرزدق كَيْنَهـا غَمْـزَ الطبيـب تَغَـانِعَ المَعْـدُورِ[٢]

وهناك من كان استشهاده بالشعر محدود جدًا كالزجاج ، فذكر في حديثه عن باب الأسنان: ((وفي الأسنان الأشر ، وهي الشرف والتحزيز الدي يكون فيها أول ما تنبت بتحديد ، ويكون للأحداث ، وفيها الظلم ، وهو ماء الأسنان وبريقها))[٣]

ثم استشهد بقول يزيد بن ضبة[٤]:

بوجـــــهٍ مشـــــرفٍ صـــــافٍ وثَـــــأرٍ بـــــاردٍ الظَّلْـــــمِ

وخلت بعض كتب خلق الإنسان من الاستشهاد الشعري، ومن أبرزهم أحمد بن فارس، الذي نلحظُ في رسالته مقالة في أسماء أعضاء الإنسان غياب الشاهد الشعري وهذا الأمر يعكس ابتعاده عن الأسلوب الذي عُرف به الأصمعيّ، والذي كان يكثر من الشواهد الشعرية في مؤلفه خلق الإنسان.

على عكس ذلك، اعتمد أحمد بن فارس منهجًا صريحًا يذكر الالفاظ للدالة على أعضاء الإنسان من دون فواصل، إذ يبدأ من الأعلى، فيقول: ((ذلك فأول أعضاء الإنسان من جهة العلو رأسه وهو مذكر وأول ما في الرأس الشعر وهو جمع واحده شعرة، كتمر وتمرة ، ومن ذلك الفودان))[٥].

---

(١) جزء في تسمية أعضاء الإنسان: ١٨٨.

(٢) ديوان جرير: ٨٥٨/٢.

(٣) خلق الإنسان (الزجاج): ٢٥.

(٤) نُسب إليه في خلق الإنسان (الزجاج): ٢٥.وفي المخصص: ١٢٨/١. ، ولسان العرب: ٣٧٩/١٢.

(٥) مقالة في أسماء أعضاء الإنسان: ١٣.

ويتضح من خلال تتبع شواهد مؤلفات خلق الإنسان أن الأصمعيّ كان المؤسس الأول لهذا الاتجاه التأليفي القائم على جمع الألفاظ وشرحها مدعومة بالشواهد الشعرية أكثر من غيرها، وأنه وضع منهجًا لغويًا صارمًا يقوم على الابتعاد عن الشواهد القرآن والحديث، اتقاءً للخطأ في تفسير النصوص المقدسة وصونًا لبلاغتها من الاجتهاد اللغوي. وقد أثر هذا المنهج في عدد من المؤلفين بعده، كابن حبيب البغدادي والزجاج والإسكافي، الذين اقتفوا طريقته في الاقتصار على الشواهد الشعرية دون القرآن والحديث .

في حين نجد أن مؤلفين آخرين كـ ثابت والحسن بن أحمد وأبي بركات الغزي قد طوروا هذا النهج، فأدخلوا الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف إلى جانب الشعر والنثر، مما أسهم في إثراء الجانب الدلالي والتفسيري للغة الأعضاء، وأكسب مؤلفاتهم طابعًا لغويًا وتفسيريًا أكثر شمولًا.

ثانيًا الأثر في مصادر الكتب اللاحقة:

أولًا: التصريح بمصادر المؤلّف:

ذكر ثابت في كتابه خلق الإنسان أسماء الرواة الذين نقلُ عنهم في مقدمة كتابه ((هذا كتابُ خَلْق الإنسان ، رويناه عن أبي عبيد والأَثْرَمِ وَسَلَمَةَ بنِ عاصم وأبي نصر وغيرهم ، وابن الأعرابي والأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري عن الكلابيين))[١].

ويُستدل ذلك إلى أن ثابت لم يتبع أثر الأصمعيّ في هذا الجانب مبينًا مصادره التي أخذها عنهم بشكل صريح في مقدمة كتابهُ خلق الإنسان.

وتبعَ الزجاج ثابتًا في ذلك إذ صرح بالنقل عن الأصمعيّ في موضعين فقط ومن ذلك: ما ذكره في باب صفة اللحية: ((قال الأصمعيّ وغيره: كان أبو بكر أفرع ، وعمر

(١) خلق الإنسان: (ثابت): ١.

أصلع لم يبق من شعره إلا حفاف))[١]، والموضع الآخر ما ذكره في باب البطن: ((قال الأصمعيّ: الجوف فيه القلب والفؤاد ، وفيه غشاوة ، وهو غلافه الذي فيه الفؤاد ، وفيه أذناه، أعني في القلب، وهما كالأذنين فيه، وفيه علقة دم سوداء كأنها قطعة كبد تسمى: السويداء، يقال: اجعل هذا في سويداء قلبك، أي احفظه، وفي الجوف الخلب وهو الحجاب الذي بين الفؤاد والبطن، وفي الفؤاد غشاوة وهي غلافه الذي فيه الفؤاد ، وربما فزع الإنسان أو الدابة فيخرج فؤاده من غشائه فيموت من ساعته))[٢]، لكنه لم يُورد أي إشارة إلى علماء أو مصادر أخرى. ويبدو أنه كان يعتمد في الغالب على المشافهة، ويتضح ذلك من قوله: ((هذا كتاب يذكر فيه خلق أسماء أعضاء الإنسان وصفاته على ما سمت العرب))[٣]، وهذا يدلنا على أن الزجاج كان ينقل في كتابه سماعًا عن العرب والفصحاء.

أما الحسن بن أحمد، فكان يصرح بمصادره من خلال المادة اللغوية التي يذكرها فيقول: ((حكى الأصمعيّ، حكى الكُراع، وقال الأصمعيّ ، حكى ابن قتيبة... ومن ذلك ((قال ثَعْلَبُ: الأمعَاء تُسَمّى الحُرُودُ ، واحدها حِردٌ بالكَسرِ))[٤].

وقد تبع السيوطي على نهج الاصمعي في هذا الجانب، إذ كان يُصرّح بذكر مصادره، فعلى سبيل المثال، ذكر في باب الرأس: ((وفي كتاب العصافي القمةُ: أعلى الرأسِ ومن الأمثلة الأخرى على ذلك قوله: ((قال النحاس: والفائقُ والدَّرْداقِسُ: عظم صغير على مغرز الرأس من العنق ، وقال العصافي: الدُّرْداقِسُ: طَرَفُ القَمَحْدُوَة. وفي القاموس: الدرداقِسُ: عظم يصل بين الرأس والعنق. وهو رومي))[٥].

---

(١) خلق الإنسان: (الزجاج): ١٠.

(٢) خلق الإنسان: (الزجاج): ٤١.

(٣) المصدر نفسه:٧.

(٤) خلق الإنسان في اللغة: (الحسن بن أحمد): ١٠٨.

(٥) غاية الإحسان في خلق الإنسان: ١٨٧(قسم التحقيق).

ويُلاحظ أنّ السيوطي اتبعَ أسلوبًا سلسًا في ترتيب مادته اللغوية، قائمًا على الرواية والرواة مع الإشارة الصريحة إلى أسمائهم داخل النص، مما يُضفي على مؤلفه توثيقيًا دقيقًا.

ثانيًا: إغفال ذكر المصادر:

اقتفى ابن حبيب البغدادي أثرَ الأصمعي، فلم يُصرّح بالمصادر التي أخذ عنها، لا في مقدمة كتابه ولا في متنه.فقد كان يورد اللفظ مع شرحه ومن ذلك: ((حاجِبٌ ، حَجاجٌ. حِملاقٌ حِجبَةٌ: رأسُ الوِركِ المُشرِفُ على الخاصِرَةِ))(١).

أما أحمد بن فارس، ففي رسالته (مقالة في أسماء أعضاء الإنسان)، فقد جاءت المادة محدودة جدًا مقارنةً بما ورد عند غيره ممن ألّفوا في موضوع خلق الإنسان. كما أنها تخلو تمامًا من أي ذكر لمصادر أو أقوال العلماء، مما يدل على أنّ غايته تقديم المادة اللغوية بأسلوب موجز. وأن غرضه الأساس هو أهمية معرفة الإنسان بأسماء أعضاء جسمهُ. ويتضح ذلك من قوله: ((:هذا ما يجب حفظه على المرء من خلق الإنسان ، فقد نرى من تعمق في غريب الكلام ووحشيه ، وإذا أراد الاخبار عن عضو من أعضائه بوجع يعتريه فيه ، أومأ إليه باليد قصورًا عن معرفة اسمه .وهذا قبيح))(٢).

وممّن سكت عن التصريح بمصادره أبو بركات الغزي ، لكنه ذكر في المقدمة أن هذا الكتاب هو تكملة لما بدأه ابن حبيب البغدادي في كتابه خلق الإنسان في اللغة، مُبينًا أنّه سيُضيف إليه ما فاته، إذ يقول: ((فأحببت أن أضيف له مما فاته جملة صالحة، مع الإيضاح والتحرير، مبتدئًا بكلامه، مع زيادة البيان والتفسير)) (٣).

---

(١) خلق الإنسان في اللغة (ابن حبيب): ٤٦.

(٢) مقالة في أسماء أعضاء الانسان : ١٣.

(٣) جزء في تسمية أعضاء الإنسان: ٧٣.

ويمكن عدّ هذا التصريح دلالة على أن كتاب ابن حبيب يُمثّل المصدر الأساس الذي اعتمد عليه الغزي في مؤلفه(جزء في تسمّية أعضاء الإنسان) .

إنّ أثر الأصمعيّ في جانب المصادر يتمثّل في كونه وضع الأساس المنهجي الذي اتبعه من أغفل التصريح بمصادره، مكتفيًا بذكر الألفاظ والشواهد، كما فعل ابن حبيب البغداديّ وابن فارس، وأبو بركات الغزي، في حين اختار مؤلفون آخرون – مثل ثابت والسيوطي والحسن بن أحمد – التصريح بمصادرهم وذكر أسماء الرواة والعلماء، ما منح مؤلفاتهم طابعًا توثيقيًا أكثر دقة ونضجًا. ويمكننا القول: إنّ أثر الأصمعيّ في شواهد كتب خلق الإنسان ومصادرها يتجلّى في أنه وضع الأساس المنهجي الأوّل لهذا اللون من التأليف، سواء من حيث اختيار نوع الشواهد وطريقة توظيفها، أو من حيث تشكيل منهج النقل والتوثيق، وقد شكّل منطلقًا تطوّر عنه من جاء بعده، فجمعوا بين طريقته الأصيلة وما استحدثوه من توسّع وتوثيق وتنوّع في الشواهد والمصادر.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Diyala
College of Education for Humanities
Department of Arabic Language/ Higher Studies

The Impact of Al-Asma'i (d. 216 AH) on the Books of the Creation of Man: A Linguistic Analytical Study

A Thesis Submitted

To the Council of the College of Education for Humanities/University of Diyala in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts (M.A.) in Arabic Language and Literature / Specialization: Linguistics.

By the Student

Azhar Razzaq Rasool

Under the Supervision of

Prof. Maki Nouman Madhloum (Ph.D.)

1447 AH 2025 CE

Abstract

This thesis, entitled (The Impact of Al-Asma’i (d. 216 AH) on the Books of the Creation of Man: A Linguistic Analytical Study), is structured into three chapters. It begins with a preamble that provides foundational context by identifying Al-Asma'i's biography and the historical tradition of books on the creation of man. Chapter One examines the impact of Al-Asma’i on the methodologies for authoring these books. This chapter is divided into three sections: the first deals with his methodology in his foundational work, *Kitab Khalq al-Insan*; the second addresses his impact on subsequent books of the creation of man; and the last discusses the use of literary attestations and their resources. Chapter Two focuses on the terminology for human body organs, also divided into three sections: the first deals with terms denoting the head, face, and neck and their associated structures ; the second examines terms for the back and belly and their related parts; and the third one analyzes terms for the hand and leg. Chapter Three then studies the physical characteristics, similarly divided into three sections: the first addresses terms for the head, face, and neck; the second examines terms for the back and belly; and the third analyzes terms for the shoulder, hand, and leg. The study concludes with its findings, followed by a bibliography and a list of all resources.